# الباب الأول

## طلب الغفران عند المسلمين

### الفصل الأول
حقيقة طلب الغفران عند المسلمين، وأحكامه، وألفاظه

### الفصل الثاني
دوافع طلب الغفران عند المسلمين

### الفصل الثالث
وسائل طلب الغفران عند المسلمين، ولوازمه، وآثاره

# الفصل الأول

# حقيقة طلب الغفران عند المسلمين، وأحكامه، وألفاظه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغفران عند المسلمين.

المبحث الثاني: ألفاظ طلب الغفران.

المبحث الثالث: صلة طلب الغفران بالتوحيد.

المبحث الرابع: أحكام طلب الغفران.

# تمهيـــد

المسلمون نسبةً إلى دين الإسلام، وهو الدين السماوي الخاتم الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء، وبعث به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ لهداية الثقلين: الإنس، والجن، وتوحيده سبحانه وتعالى توحيدًا خالصًا في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، والإذعان لمشيئته عن رضا واختيار، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده، والتمسك بمكارم الأخلاق. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2][3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

(٣) انظر: موسوعة الأديان الميسرة (٢٢/١).

# المبحث الأول

## تعريف الغفران عند المسلمين

**معنى الغفران لغة:**

الغفران مشتق من الفعل الثلاثي (غَفَرَ). وأصل الغفر: الستر، والتغطية، وغفر الله ذنوبه أي سترها، ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ.

وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس: مغفر.

والغفران: مصدر منصوب بإضمار أطلب. يقال: اللهم اغفر لنا مغفرةً، وغفرًا، وغفرانًا، إنك أنت الغفور الغفار، لأهل المغفرة.

والغفور الغفار، جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

يقال: غفر الله ذنوبه، أي سترها، والغفر: الغفران. واغتفر له ذنبًا: غفره، واستغفره ذنبه، واستغفره منه: طلب منه غفره، واستغفر له: طلب له الغفران[1].

وفي الجملة: نجد أن الغفران يدور لغة حول معانٍ متقاربة تمام التقارب: طلب الستر، التغطية، التجاوز عن الخطايا. فطالب الغفران عن ذنبٍ، أو تقصير، يقصد الغافر ليتعامل مع ذنبه، أو تقصيره بالستر، والتغطية، والتجاوز عنه.

---

(١) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١) ٢٠٠١م، ت. محمد عوض مرعب مادة(غفر)ص (١١٢/٨)، وانظر: معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن زكريا، دار الجيل، بيروت (ط٢)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ت: عبد السلام محمد هارون مادة(غفر) ص (٣٨٥/٤)، لسان العرب مادة(غفر) ص(٢٥/٥)، معجم الأفعال المتعدية بحرف موسى محمد الملياني الأحمدي الجزائري، مادة(غفر) ص(٢٦٠).

**معنى الغفران اصطلاحًا:**

لقد عُرِّف طلب الغفران في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يأتي:

(الغفران) مصدر من اسم الله (الغفار) ، قال الإمام الغزالي[1] – رحمه الله– والمراد باسم الله الغفار: ( هو الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر هو الستر، وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه، مغطاة بجمال ظاهره، فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة، وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره.

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة، وإرادته القبيحة سر قلبه، حتى لا يطلع أحد على سره، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش، والخيانة، وسوء الظن بالناس، لمقتوه، بل سعوا في تلف روحه، وأهلكوه، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوراته.

وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته..) [2].

وعلى هذا فالمراد بطلب الغفران عند الإمام الغزالي –رحمه الله– هو: إظهار الجميل، وستر القبيح في الدنيا – والذنوب من جملة القبائح – والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة [3].

---

( ١) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، من أصبهان، ولد سنة (٤٥٠هـ) درس بالنظامية في بغداد، من مصنفاته إحياء علوم الدين،تهافت الفلاسفة، توفي سنة(٥٠٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٧٣/١٢)، الإعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان (ط٥) ١٩٨٠م، ص(٢٢/٧).

( ٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الجفان والجابي – قبرص – ١٤٠٧ /١٩٨٧ ، (ط١) ، ت. بسام عبد الوهاب الجابي ص(٨٠).

( ٣) انظر.المقصد الأسنى ص(٨٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] — رحمه الله -: (وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه)[2].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية[3] — رحمه الله -: (محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره)[4].

وقال الإمام ابن رجب[5] — رحمه الله -: (هو وقاية شر الذنب مع ستره)[6].

وقال الإمام ابن حجر[7] — رحمه الله -: هو صيانة الله للعبد عن العذاب[1].

---

(١) الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، ولد سنة (٦٦١هـ) من كبار أئمة السنة، من مؤلفاته، منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، الفتاوى، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. توفي سنة (٧٢٨هـ).

انظر: البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت (٣٠٣/١٣)، الأعلام للزركلي (١٤٤/١)، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: محمد بن أحمد المقدسي، ت: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت (١٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، مؤسسة الرسالة، بيروت (٣١٧/١٠).

(٣) الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة (٦٩١هـ)، كان تلميذًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، أم بمدرسة الجوزية، كان واسع العلم، درس على يد أبيه، وعلى يد شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه حتى توفي شيخه، من مصنفاته: مفتاح دار السعادة، إعلام الموقعين، الروح. مات سنة (٧٥١هـ).

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد — الهند، (ط٢)، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص(١٣٧/٥)، الأعلام للزركلي (٥٦/٦).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية، دار إحياء التراث، بيروت (ط٢)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م (٢٣٦/١)، كتاب التوبة لابن قيم الجوزية، ت: صابر البطلوي، مكتبة المؤيد، الرياض (ط١)، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص(١٣٦)، التوبة والإنابة: لابن قيم الجوزية، ت: د. محمد عمر الحاجي، عبد الله بدران، دار المكتبي، دمشق، (ط١)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص(٢٠٨).

(٥) هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد (٧٣٦هـ)، من مصنفاته كتاب الجنائز، جامع العلوم والحكم، شرح الترمذي، مات سنة (٧٥٩هـ). انظر: الدرر الكامنة (١٠٩/٣)، البدر الطالع: محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت (٣٢٨/١)، الأعلام للزركلي (٢٩٥/٣)، المقصد الأسنى: برهان الدين بن مفلح، ت: عبدالرحمن بن عثيمين، مكتبة الرشد (ط١) ١٤١٠هـ، ص(٨١/٢).

(٦) جامع العلوم والحكم: لابن رجب الحنبلي، ت: أيمن عارف الدمشقي، صبحي محمد رمضان، دار طيبة، الرياض (ط١)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص(٣٢٠)، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي .ت.طلعت الحلوني.الفاروق الحديث للنشر القاهرة (ط٢)١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص(٥١٨/٢).

(٧) أحمد بن علي الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر العسقلاني، ولد عام ٧٧٣هـ، مصري المولد والمنشأ والدار

وجاء أيضاً في معنى طلب الغفران: (إسقاط العقاب، ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري تعالى) [٢].

وقيل أيضًا هو: (أن يصون الله تعالى عبده المؤمن التائب عن العذاب، وأن يتجاوز عن ذنوبه، وإزالة أثرها، ووقايته من شرها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [٣] أي استرها وامحها) [٤].

وهذه التعريفات لطلب الغفران -وإن اختلفت ألفاظها - فمعناها لا يختلف ؛ إذ هي تفيد أن طلب الغفران: يقتضي طلب العبد المؤمن التائب من الله إسقاط العقاب عنه بمحو ذنوبه ، وإزالة أثرها، ووقايته من شرها.

---

والوفاة، حفظ القرآن صغيرًا، كان علامة العلماء، وحجة الأعلام، من تصانيفه: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعجيل المنفعة، تهذيب التهذيب. توفي عام (٨٥٢هـ).

انظر: شذرات الذهب: عبد الحي بن أحمد العكبري الحنبلي، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق (ط١)، ١٤٠٦هـ (٢٧٢/٧)، الأعلام للزركلي (١٧٨/١)، أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوحي، ت: عبد الجبار الزكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، (٩٥/٣).

( ١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد العزيز بن باز، نشر رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، بالرياض (١٠٣/١١) بتصرف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، (ط١)، ١٣٥٦هـ (١٧٧/٣).

( ٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الكفوي، ت: عدنان درويش، محمد مصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٢)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م (٦٦٦).

( ٣) سورة آل عمران، الآية: (١٤٧).

( ٤) الذنب والمغفرة في ضوء القرآن الكريم والعهد الجديد، رسالة ماجستير للطالب يحيى حمد سليمان، جامعة آل البيت – الأردن، ٢٠٠٨م، ص(١٠).

# المبحث الثاني

## ألفاظ الغفران

تقدم في المبحث السابق تعريف طلب الغفران ،وأن المراد به طلب العبد المؤمن التائب من الله – عز وجل – إسقاط العقاب، بمحو الذنوب عنه، وإزالة أثرها، ووقايته من شرها.

لقد ورد الغفران بهذا المعنى بألفاظ عدة في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والتي منها ما يأتي:

**١ – «غفر»**: ورد الغفران بلفظه (غفر)، وبعدة صيغ، فتارة: صفة، اسم، فعل، مفرد، جمع في كثير من الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [(١)].

قال المفسرون في تفسير الآية: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريق المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، فإن اتبعتم الرسول ﷺ، وصدقتموه على ما آتاكم به من عند الله، يغفر لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة عليها، ويعفو لكم عما مضى منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم، وبغيرهم من خلقه[(٢)].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [(٣)].

قال المفسرون في تفسير الآية: إننا سمعنا داعيًا إلى الإيمان، وهو الرسول ﷺ (فاستجبنا له،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٣٢)، تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، (ط٤)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، (٢/٣٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٩٣).

واتبعناه، يا ربنا فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك إيانًا عليها، لكن كفرها عنا وامحها بفضلك ورحمتك إيانا، واقبضنا إليك في عددا الأبرار[(١)].

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(٢)]، وقال:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[(٣)]، وقال:﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[(٤)]، وقال:﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(٥)]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(٦)]، وقال:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(٧)]، وقال:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[(٨)].

ومن السنة قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم،

---

( ١) انظر: تفسير الطبري (٤/٢١٣)، تفسير ابن كثير (٢/١٨٧).

( ٢) سورة آل عمران، الآية: (١٦).

( ٣) سورة النساء ، الآية: (١١٠).

( ٤) سورة الأعراف، الآية: (١٥٥).

( ٥) سورة يوسف، الآيتان: (٩٧ — ٩٨).

( ٦) سورة القصص، الآية: (١٦).

( ٧) سورة الزمر، الآية: (٥٣).

( ٨) سورة الفتح، الآيتان: (١ — ٢).

وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم»[1].

وفي حديث أخر ضحك النبي ﷺ، فسأله الصحابة: من أي شيء ضحكت؟ قال ﷺ: «إن ربك يعجب من عبده! إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»[2]، وفي الحديث القدسي يقول الرسول ﷺ : «قال الله – تبارك وتعالى –: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»[3]. قال الإمام ابن رجب – رحمه الله –: (ذنوب العباد – وإن عظمت– فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها ، فهي صغيرةٌ في جنب عفو الله ومغفرته... والاستغفار: طلبُ المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شرِّ الذنوب مع سترها)[4].

والآيات والأحاديث الواردة بهذا اللفظ كثيرة، وقد ورد معنا في بيان معنى المغفرة في اللغة: بأنها التغطية على الذنوب، والعفو عنها[5].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، برقم (٢٧٤٨) بمثله، موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة صحيح البخاري، صحيح مسلم، جامع الترمذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، طبعة مصححة ومرقمة بإشراف ومراجعة الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض (ط٣)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص(١١٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب، برقم (٢٦٠٢) بمثله، موسوعة الحديث الشريف، ص(١٤١٥)صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والذهبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي ذر الغفاري برقم (٢١٨٠٤) قال شعيب: حسن، وهذا إسناد ضعيف، مسند الإمام أحمد بن حنبل بيت الأفكار الدولية، لبنان عام ٢٠٠٥م ص(١٥٦٥)، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب الحديث القدسي: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني...) برقم (٣٥٤٠) بمثله، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. موسوعة الحديث ص(٢٠١٦).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٧٢٩).

(٥) لسان العرب (٥/٣٥) مادة (غفر).

و(الغفار، الغفور) من أسماء الله الحسنى، قال الإمام الغزالي – رحمه الله-: والمراد بالغفار: ( هو الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها، بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر هو الستر، وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين، مستورة في باطنه، مغطاة بجمال ظاهره، فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة، وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره.

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة، وإرادته القبيحة، سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سره، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا في تلف روحه، وأهلكوه، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوراته.

وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته..) [(١)] .

وقيل: أي : (الساتر لذنوب عباده ،وهو مغطيهم بستره ، فلا يطلع على ذنوبهم غيره ، وهو المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم؛ لأنه – سبحانه - إذا سترها، فقد صفح عنها، وتجاوز، وهو غفور يغفر لهم مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى ، وفي الآخرة يستر على بعضهم، ويأخذ آخرين ببعض ذنوبهم، ويستر غيرها) [(٢)].

**٢ – «تاب»**: ورد الغفران بلفظ «تاب»، وجاء هذا اللفظ بصيغ عدة تقتضي معنى الغفران، قال تعالى في توبة آدم عليه السلام وقبوله لها ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [(٣)]، قال ابن جرير[(١)] الطبري في تفسير معنى التوبة الوارد في الآية: (معنى

( ١) المقصد الأسنى ص(٨٠).

( ٢) شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، د.حصة بنت عبد العزيز الصغير، دار القاسم، الرياض (ط١)، ١٤٢٠هـ، ص(١٨٢).

( ٣) سورة البقرة، الآية: (٣٧).

التوبة من العبد إلى ربه: إنابته إلى ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا، مما يكرهه ربه ، فكذلك توبة الله على عبده، هو أن يرزقه ذلك، ويؤب من غضبه عليه إلى الرضا عنه ، ومن العقوبة إلى العفو، والصفح عنه) [٢].

ومن الآيات الواردة بهذا المعنى قال تعالى:﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]، وقال:﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾[٥].

ومن السنة قوله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[٦]. وقال أيضًا: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[٧].

---

( ١) هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في طبرستان عام ٢٢٤هـ صاحب كتاب التفسير المعروف بجامع البيان، من مصنفاته تاريخ الملوك والأمم ،كان حافظًا لكتاب الله عالما بالقراءات والسنة والناسخ والمنسوخ. توفي ببغداد عام (٣١٠هـ).انظر: الكامل في التاريخ (٩/٧)، العبر في خبر من غبر: لمحمد بن أحمد الذهبي، ت: د. صلاح المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (ط٢)، ١٩٨٤م، ص(١٥٢/٢)، الأعلام للزركلي (٦٩/٦).

( ٢) تفسير الطبري (٢٤٢/١).

( ٣) سورة المائدة، الآية: (٣٩).

( ٤) سورة الأعراف، الآية: (١٥٣).

( ٥) سورة الفرقان، الآيتان: (٧٠، ٧١)..

( ٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، برقم (٢٧٥٩) بمثله، موسوعة الحديث الشريف ص(١١٥٦).

( ٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم (٢٧٠٣). بمثله موسوعة الحديث الشريف، ص(١١٤٧).

قال أهل اللغة: (أصل تاب: عاد إلى الله، ورجع، وأناب، وتاب الله عليه أي: عاد عليه بالمغفرة)[1].

و«التواب» من أسماء الله الحسنى ، قال الإمام الغزالي –رحمه الله– في بيان المراد باسم الله التواب:(هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويطلعهم عليه من تخويفاته، وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب، استشعروا الخوف بتخويفه، فرجعوا إلى التوبة، فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول)[2].

وفسره بعض العلماء فقالوا: (الله تواب، يتوب على عبده، أي يقبل توبته، كما أنه سبحانه وفقه للتوبة، وتوبة الله على عبده أن يعود عليه بالمغفرة بفضله، إذا تاب العبد من ذنبه)[3].

**٣ – «تجاوز»:** جاء الغفران بلفظ (تجاوز)، وقد جاءت هذه الصيغة في اللغة يقال: تجاوز الله عن ذنبه أي عفا، ولم يؤاخذه به[4].

وقال تعالى في هذا المعنى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[5].

قال الإمام ابن كثير[6] في تفسير الآية، وبيان معناها: (التائبون إلى الله: المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن

---

(١) لسان العرب (٢٣٣/١) مادة (توب).

(٢) المقصد الأسنى ص( ١٣٩).

(٣) شرح أسماء الله تعالى الحسنى: د. حصة الصغير، ص(٨٠).

(٤) لسان العرب (٣٢٨/٥) مادة (جوز).

(٥) سورة الأحقاف، الآية: (١٦).

(٦) هو: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة (٧٠٠هـ) صحب الإمام ابن تيمية، من مصنفاته: البداية والنهاية، التنبيه، وتفسير القرآن العظيم، كان جيد الفهم، محدثاً، مفتياً، بارعاً . توفي سنة (٧٧٤هـ)، انظر: شذرات الذهب (٢٣١/٦)، الأعلام للزركلي (٣٢٠/١).

سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل) [1].

٤ – **«الصفح»**: ورد الغفران بلفظ الصفح، وجاء ذلك بالحث عليه بهذا اللفظ في مواضع من كتاب الله تعالى ، والمراد بالصفح هو: ترك التأنيب، يقال: صفحت عنه، أوليته مني صفحة جميلة، معرضًا عن ذنبه بالكلية، وصفح عنه يصفح صفحًا: أعرض عن ذنبه، وهو صفوحٌ وصفاحٌ: عفوٌ.

واستصفحه ذنبه: استغفره إياه، وطلب أن يصفح له عنه، فالصفوح صفة من صفات الله: العفو عن ذنوب العباد معرضًا عن مجازاتهم بالعقوبة تكرمًا[2].

قال تعالى:﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [4]. والصفح الجميل هو: (الصفح الذي لا أذية فيه ، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران) [5].

٥ – **«عفو»**: جاء الغفران بلفظ «العفو» بعدة صيغ يراد بها محو الذنب والتجاوز ، قال تعالى في قصة توبة بني إسرائيل من عبادة العجل:﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6]، قال القرطبي[7] –رحمه الله –في تفسير الآية: (العفو عفو الله عز وجل عن خلقه...

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٨١/٤).

(٢) انظر: لسان العرب (٥١٥/٢) مادة (صفح) ، التعاريف للمناوي (٤٥٧) فصل (الفاء)؛ النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لواء مهندس علي حجازي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص(٣٣٩).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٨٥).

(٤) سورة النور، الآية: (٢٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: الشيخ محمد بن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص(٤٣٤).

(٦) سورة البقرة، الآية: (٥٢).

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي توفي سنة (٦٧١هـ)، كان إمامًا عالما

خلقه... وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عُفى عنه ، فالعفو محو الذنب، أي محونا وتجاوزنا عنكم)[1] . وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [3] ،وقال تعالى:﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [4]. والآيات الواردة في ذلك كثيرة. كما وقد جاء في السنن ما دل على هذا المعنى، وبهذا اللفظ ، فقد كان ﷺ إذا تحرى ليلة القدر يقول: «اللهم إنك عفوٌ كريم، تحب العفو، فاعفُ عنا»[5] .

---

بالتفسير، ومعاني الحديث، حسن التصنيف، من مصنفاته: جامع أحكام القرآن، وكتاب التذكرة. انظر: شذرات الذهب (٥/٣٣٥)، طبقات المفسرين للداودي: أحمد بن محمد الداودي، ت: سليمان صالح الحربي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية (ط١)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (١/٢٩٦)، الأعلام للزركلي (٥/٣٢٢).

( ١) الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي لابن عبد الله بن محمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة، (١/٣٩٧).

( ٢) سورة آل عمران، الآية: (١٣٤).

( ٣) سورة النساء، الآية: (١٤٩).

( ٤) سورة الشورى، الآية: (٤٠).

( ٥) أخرجه الإمام أحمد في سننه في مسند عائشة برقم (٢٥٨٩٨، ٢٦٠١٢، ٢٦٠٢٠، ٢٦٢٦٠) بمثله ص(١٨٨٨٠، ١٨٨٨، ١٩٠٤)، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب فضل سؤال العافية والمعافاة، برقم (٣٥١٣) بمثله ص(٢٠١٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، برقم (٣٨٥٠) بمثله ص(٢٨٠٦)، موسوعة الحديث الشريف، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير، باب العفو، برقم (٧٧١٢)، وفي كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما = =يقوله إذا وافق ليلة القدر برقم (١٠٧٠٨) بمثله ص(٤/٤٠٧)، (٦/٢١٨)، سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي، ت: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروى، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١)، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. قال الإمام الألباني في نسخته التي صححها على سنن الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح – سنن الإمام الترمذي حكم على أحاديثه، وآثاره، وعلق عليه الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر، الرياض (ط١)، ص(٧٩٨).

قال العلماء في شرح هذا الحديث «اللهم إنك عفوٌ » أي: (أي كثير العفو) [(1)]، والعفو اسم من أسماء الله الحسنى، وطلب الغفران هو طلب العفو من الله فهو واحده من يملك العفو ويمنح الغفران لعبده التائب ويراد بالعفو: أي (الذي يتجاوز عن الذنب، ويترك العقاب عليه – سبحانه – يمحو الذنب بصفحه عنه ويغفر للعبد بفضله – سبحانه – وكرمه ، والله سبحانه يضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم ، وذلك إذا تابوا واستغفروا) [(2)].

٦ – **«التكفير»**: جاء الغفران بلفظ «التكفير» ، والتكفير مأخوذ من الكَفْرُ بالفتح، والكفر يراد به: التغطية، وتُكَفِّير الخطيئة: أي محوها وسترها[(3)].

والآيات والأحاديث الواردة بهذا اللفظ والمعنى كثيرة. قال تعالى:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[(4)].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (لأكفرن عنهم سيئاتهم: يعني لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي؛ ولأغفرنها لهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، جزاء لهم على ما عملوا، وأبلوا في الله، وفي سبيله) [(5)].

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(6)]، وقوله:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا

---

( ١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: للفقيه أبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري. قدم له وخرج أحاديثه: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأقطار الدولية، الرياض، (٢/٢٤٨٨).

( ٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى: د. حصة الصغير ص(١٧٦)، النور الأسنى: لواء مهتدي حجازي، ص(٢١١).

( ٣) لسان العرب (٥/١٤٩) مادة (كفر).

( ٤) سورة آل عمران، الآية: (١٩٥).

( ٥) تفسير الطبري (٤/٢١٦).

( ٦) سورة العنكبوت، الآية: (٧).

نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[1]، وقوله:﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [2].قال ابن كثير (يكفر عنهم) أي: (خطاياهم وذنوبهم، فلا يعاقبهم عليها، بل يعفو، ويصفح، ويغفر، ويستر، ويرحم، ويشكر) [3].

وجاء منح الغفران بلفظ التكفير في السنة، ومن ذلك قوله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها»[4]. وقال أيضًا: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولاهم، ولا حزنٍ ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها خطاياه»[5].

قال ابن حجر – رحمه الله – في شرحه للحديث: أي يكون ذلك سببًا لمغفرة ذنبه ، ووقع في رواية أخرى: (إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة)، وهذا يقتضي حصول الأمرين معًا: حصول الثواب، ورفع العقاب[6].

إن هذه الألفاظ في منح الله الغفران لعبده التائب، وإن اختلفت، فمعناها لا يختلف ، إذ هي تفيد أن المراد بطلب الغفران: هو طلب العبد المؤمن التائب من الله – عز وجل – أن يعفو عن تقصيره، ويتجاوز عن ذنوبه بمحوها، وإزالة أثرها، ووقايته من شرها.

---

( ١) سورة محمد، الآية: (٢).

( ٢) سورة الفتح، الآية: (٥).

( ٣) تفسير ابن كثير (٣٢٩/٤).

( ٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤٠) بمثله موسوعة الحديث الشريف ص(٤٨٣).

( ٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١، ٥٦٤٢) بمثله ص(٤٨٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة. باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم (٢٥٧٣) بمثله ص(١١٢٩) موسوعة الحديث الشريف.

( ٦) انظر: فتح الباري (١٠٥/١٠).

# المبحث الثالث

## صلة طلب الغفران بالتوحيد

التوحيد هو المنهاج القويم، والصراط المستقيم، وهو الأصل الذي تبنى عليه سائر الفروع، ومن أجله خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(1)].

وهو فريضة الله على عباده، وأوجب الواجبات، وآكد المأمورات.

قال أحد العلماء وقد: (سمى الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه على أن الله تعالى واحد في ملكه، وأفعاله، لا شريك له، وواحد في ذاته، وصفاته، لا نظير له ، وواحد في إلهيته، وعبادته، لا ند له)[(2)].

**تعريف التوحيد:** (هو إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتًا، وصفات، وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات، ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الإشراك)[(3)].

وقد قسم أهل العلم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

**١ – توحيد الربوبية:**

هو اعتقاد أن الرب تعالى واحد في ملكه، وخلقه، وتصرفه، وأفعاله، فهو رب كل شيء، ومليكه، وخالق الخلق، ومدبرهم، والمتصرف في الكون، فهو رب الأرباب، ومسبب الأسباب،

---

( ١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

( ٢) السبك الفريد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، شرح العلامة محمد بن عبد الله الجبرين، خرج أحاديثه علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن، الرياض، (ط١)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م (١/٣٧).

( ٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق (ط٢)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (١/٥٧)، وانظر: السبك الفريد (١/٣٧).

خالق السموات والأرض وما فيهن، وما بينهما، وهو توحيد الله بأفعاله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [(١)][(٢)].

وهذا النوع من التوحيد موجود في سورة الإخلاص، قال تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [(٣)].

**٢ – توحيد الألوهية:**

هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو حق الله على العبيد، ويسمى التوحيد العملي، القصدي، الطلبي، الإرادي؛ لأنه عمل يتقرب به العبد إلى ربه، وهو مقصود من العباد، طلبه الله منهم، وأراده، وخلقهم له، وفرضه عليهم.

وهو الحكمة في خلق الجن والإنس، وبه أمر الله جميع الناس، كما قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٤)][(٥)].

و هذا النوع من التوحيد موجود في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [(٦)]. وكلا هذين النوعين من التوحيد موجودان في سورتي الإخلاص،

---

( ١) سورة البقرة، الآيتان: (٢١، ٢٢).

( ٢) السبك الفريد (٣٨/١).

( ٣) سورة الإخلاص، الآيات: (١ – ٤).

( ٤) سورة البقرة، الآية: (٢١).

( ٥) السبك الفريد (٤٤/١).

( ٦) سورة الكافرون، الآيات: (١– ٦).

قال تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، الكافرون قال تعالى: :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ .

## ٣ – توحيد الأسماء والصفات:

يسمى التوحيد العلمي، الخبري، الاعتقادي، الثبوتي، فهو إثبات أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العُلا، التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله، إثباتًا بلا تمثيل[١]، وتنزيهاً بلا تعطيل[٢]، لأنه علم يعتمد على الأخبار، والنقل الصحيح، فيجب اعتقاد أن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن سمات النقص، وإثبات صفات الرب سبحانه على ما يليق به، من غير تشبيه[٣] ولا تمثيل، ولا تحريف[٤]، ولا تأويل[٥]، ومن غير تكييف[٦] ولا تعطيل، على قوله تعالى:﴿ لَيْسَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٧] .

---

(١) التمثيل هو ذكر مماثل للشيء؛ بأن يجعل شيئاً من صفاته مثل صفات المخلوقين، بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم، أو يجب له ما يجب لهم، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقًا، وهذا التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٤هـ (٣٩٩/٤)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام (ط٤)، ١٤٢٤هـ (١٠١/١).

(٢) التعطيل: التخلية والترك، وهو إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات؛ سواء كان كليًا أو جزئيًا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود ، هذا كله يسمى تعطيلاً. انظر شرح العقيدة الواسطية (٩١/١).

(٣) التشبيه: هو تشبيه الشيء بالشيء، يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب، ويجوز، ويمتنع. يقال مثل الشيء بالشيء، إذا سواه، وشبهه به، وجعله مثله، وعلى مثاله، فالشبيه، والمثيل، والنظير ألفاظ متقاربة. انظر التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح فالح بن مهدي آل مهدي، تحقق: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض(ط١). ١٤١٤هـ، ص(٣٢، ٢٧٣).

(٤) التحريف: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير معانيها، وأكثر ما يقع فيه الناس التحريف المعنوي.انظرالتحفة المهدية (٣٢)، شرح العقيدة الواسطية (٨٧/١).

(٥) التأويل: التأويل في نصوص الصفات يراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.انظر التحفة المهدية ص(٢٢١).

(٦) التكييف: هو تعيين كنه الصفة وكيفيتها، والمكيفة هم الذين يطلبون تعيين كنه صفات الباري، وهذا مما استأثر الله به، فلا سبيل إلى الوصول إليه.انظر التحفة المهدية ص(٣٢).

(٧) سورة الشورى، الآية: (١١).

إن هذه الأنواع الثلاثة للتوحيد متلازمة، كل منها لا ينفك عن الآخر ، فتوحيد الربوبية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، ويستلزم الإقرار به، كما أن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات يستلزمان الإقرار، والعمل بتوحيد الألوهية، والذي يُعد هو أول واجبٍ على المكلف، وهو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وذلك بعبادة الله وحده، لا شريك بفعل المأمور، وترك المحظور، والإخلاص في ذلك لله وحده. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [1].

قال العلماء في تفسير (إلا ليعبدون) أي: (إلا ليوحدون، وهذا حق، يتذللون لله بالطاعة فعلاً للمأمور، وتركًا للمحظور، ومن طاعته أن يُوحد سبحانه وتعالى) [2].

وهذا يعني أن سائر العبادات لا تصح إلا بالتوحيد؛ بكونه أوجب الواجبات، ولا تقبل الأعمال إلا به، ولا يتقرب العبد إلى ربه إلا به، فإذا كان هذا هو شأن التوحيد، فإن في ذلك دلالةً صريحة على عظم فضله وأثره ، ومن فضل التوحيد وأثرة تكفيره للذنوب، فتجريد التوحيد عن الشرك من أسباب المغفرة، بل هو السبب الأعظم في غفران الذنوب.

وقد جاءت الأدلة والشواهد من الكتاب والسنة وأقوال العلماء التي دلت، وبينت على أن من أعظم آثار وثمرات التوحيد ما يحصل به من مغفرة الذنوب، فمتى كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه بلسانه وجوارحه، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها.

قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [3].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...﴾ أي: (لا يغفر لعبد

---

( ١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

( ٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمعه ورتبه د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د. خالد بن علي المشيقيح، دار العاصمة، الرياض، (ط١)، ١٤١٥هـ (٢٠/١).

( ٣) سورة النساء، الآية: (٤٨).

لقيه وهو مشرك أي من الذنوب)[1].

وقال الشيخ ابن سعدي[2] في تفسيره للآية: (يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدًا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب: صغائرها، وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابًا كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك؛ فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئًا، وما لهم يوم القيامة من شافعين)[3].

وفي بيان ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (التوحيد هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ...﴾ )[4].

وقد دلت السنة النبوية كذلك على عظم صلة التوحيد، وأثرة في غفران الذنوب.

فقال عليه الصلاة والسلام: (يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها ومن عمل سيئة فجزاء مثلها، وأغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٢٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ، نشأ يتيم الأب والأم، نشأ نشأة صالحة، عرف عنه الصلاح والتقى، حفظ القرآن صغيرًا. من مصنفاته: المواهب الربانية، انتصار الحق، تفسير للقرآن: المعروف بتسير الكريم المنان. توفي عام ١٣٧٦هـ.
انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون: للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض، (ط١)، ١٣٩٨هـ (٣/٢١٨).

(٣) تفسير ابن سعدي ص(١٨١).

(٤) الفتاوى (٣/٤٠٠).

جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

وقال ﷺ في لفظ آخر: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك، ولا أبالي، ياابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي ، إنك لو أتيني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»[2].

قال الحافظ المباركفوري[3] في شرحه للحديث: أي مادمت تدعوني وترجوني غفرت لك المعاصي، وإن تكررت وكثرت، ولا أتعظم مغفرة علي، وإن كان ذنبًا كبيرًا أو كثيرًا، وإن كانت ملء الأرض، وعلت فبلغت مبلغ السماء، فلقيتني لا تشرك بي، لقيتك بقرابها مغفرة[4].

وعلق ابن رجب على هذا الحديث فقال: (من أسباب المغفرة التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده، فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض – وهو ملؤها، أو ما يقارب ملأها – خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل،

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى، وحسن الظن به، برقم (٢٦٨٧) بمثله، موسوعة الحديث الشريف، ص(١١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب الحديث القدسي (يا ابن آدم ما دعوتني...) برقم (٣٥٤٠) بمثله. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ص(٢٠١٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل العمل برقم (٣٨٢١) بمثله ص(٢٧٠٤)، موسوعة الحديث، الشريف قال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة لسنن الترمذي ص(٨٠٤).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ولد عام ١٢٨٣هـ في الهند حفظ القرآن صغيرًا، برع في كثير من العلوم، من مصنفاته: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، أبكار المنن في تنفيذ آثار السنن توفي سنة (١٣٥٣هـ). انظر: مقدمة ناشر تحفة الأحوذي الشيخ عبد السميع المباركفوري، ص(٨/١).

(٤) انظر: تحفة الأحوذي (٢٤٩٩/٢) بتصرف.

فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخله الجنة، الموحد لا يُلقى في النار كما يُلقى الكفار، ولا يلقى فيها ما يلقى الكفار، فإن كُمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية) [(١)].

وقال ابن قيم الجوزية – رحمه الله- في بيان أثر التوحيد على ذنوب الموحدين: (فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحد، إن قوي التوحيد على محو آثارها بالكلية، وإلا فمعهم من التوحيد ما يخرجهم من النار، إذا عذبوا بذنوبهم) [(٢)].

وقال في موضع آخر معلقًا على الحديث السابق: يدل على أن من لم يشرك بالله شيئًا، فذنوبه مغفورة، كائنة ما كانت، ولكن ينبغي أن يعمل ارتباط القلوب بأعمال الجوارح... فمن لم يشرك بالله، يستحيل أن يلقى الله بقراب الأرض خطايا، مصرًا عليها، غير تائب منها، مع كمال توحيده الذي هو غاية الحب والخضوع، والذل، والخوف، والرجاء للرب تعالى [(٣)].

لقد دلت الشواهد من الكتاب والسنة على عظم فضل التوحيد، وأثره في غفران الذنوب، وعلى كثرة ثوابه ،وسعة فضل الله، وجوده، ورحمته بعباده الموحدين التائبين، مما لا يدع مجالاً للشك.

قال بعض أهل العلم: (في هذه الأحاديث كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله وجوده ورحمته، حيث وعد عباده أن العبد لو أتاه بملء الأرض خطايا، وقد مات على التوحيد ، فإنه يقابله بالمغفرة الواسعة التي تسع ذنوبه) [(٤)].

---

( ١) جامع العلوم والحكم ص(٧٣٧).

( ٢) هداية الحيارى ص(١٧٥).

( ٣) انظر. التوبة والإنابة ص(٢٤٠)، مدارج السالكين (١/٢٥١) بتصرف.

( ٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت: أحمد بن علي، دار الغد الجديد – مصر، (ط١)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص(٥٢ – ٧٢)، وللاستزادة انظر: فتح الحميد في شرح

وبهذا نخلص من بيان صلة طلب الغفران بالتوحيد؛ بأنه سببٌ من أسباب الغفران؛ بل هو السبب الأعظم في غفران الذنوب، فمتي ما خلا قلب العبد وعمله من الشرك بالله، وتاب لله من ذنبه، وقام بالمأمور، واجتنب المحظور نال برحمة الله من الله عز وجل العفو الغفران.

التوحيد: الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي. ت: د. سعود عبد العزيز العريفي، د. حسين بن حليعب السعيدي، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة (ط١)، ١٤٢٥هـ، ص(١/٢٩٨ – ٣٠٢)، القول المفيد (١/٥٥ – ٧٧)، السبك الفريد شرح كتاب التوحيد (١/٧٦ – ١٠٢).

# المبحث الرابع

## أحكام طلب الغفران

يجب على جميع العباد السعي لطلب الغفران من الله ونيله ، وهذا شامل لكل الأفراد، ومستغرقٌ لأغلب قضايا الحياة في كل زمان ومكان، وعلى مختلف الأحوال.

فالإنسان مخلوق لا يخلو من معصية أو تقصير، قابلٌ للطاعة والمعصية، وهذه جبلة بني آدم؛ فكل بني آدم خطاء، ومن هنا رَغَّبَ الشارع عباده برحمته الواسعة، وفضله وكرمه المعهود، ودعاهم إلى العودة إليه المرة بعد المرة، ووعدهم بالغفران، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة جدًا، سأورد بعضًا منها؛ لأن الغاية هو الذكر لا الحصر، فمن كتاب الله قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[١]، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٢]، كما قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، وفي موضع أخر قال تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

---

( ١) سورة النساء، الآيات: (٢٦ – ٢٨).

( ٢) سورة النساء، الآية: (١١٠).

( ٣) سورة الزمر، الآية: (٥٣).

( ٤) سورة الشورى، الآية: (٢٥).

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١]، وقال تعالى:﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [٢].

هذا وقد دلت السنة على وجوب طلب الغفران، ورغبت للسعي إليه ، قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة) [٣]، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر مؤكدًا على ذلك: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) [٤]، وقال أيضًا في الحث على طلب الغفران: (يأيها الناس توبوا إلى الله، واستغفروه، فإني أتوب إلى الله، وأستغفره في كل يوم مائة مرة) فقلت له: اللهم إني استغفرك؛ اللهم إني أتوب إليك: اثنتان أم واحدة؟ فقال: (هو ذاك، أو نحو هذا) [٥].

إن هذه الأدلة الواردة في الكتاب والسنة مما ذكرت، ومما لم يرد ذكره – إذ لا مجال لحصره هنا والمتعلقة بقضية طلب الغفران – عند النظر إليها سيجد الناظر البصير أنها قد جاءت بدلالات صريحة، أو ضمنية، أو لازمة لتؤكد على عظم منزلة طلب الغفران وحكمته.

فجاءت أقوال العلماء لتأكيد ما دلت عليه النصوص، من وجوب التوبة طلبًا للغفران، وتحقيقًا له ، قال الإمام الغزالي – رحمه الله– عن ذلك: (اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار

---

( ١) سورة الحديد، الآية: (٢١).

( ٢) سورة هود، الآية: (٦١).

( ٣) سبق تخريجه ص (٧١).

( ٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٠) بمثله ص(٢٧٣٥)، موسوعة الحديث قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن لغيره.

( ٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم (٦٨٥٩) بنحوه ص(١١٤٧) موسوعة الحديث.

والآيات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته، وشرح الله بنور الإيمان صدره... قال تعالى:﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [(١)]. وهذا أمر على العموم)[(٢)]، وقال الإمام النووي[(٣)] في بيان وجوب طلب الغفران من الذنوب: (اتفق العلماء على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة، أو كبيرة ، والتوبة من مهمات الإسلام، وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع)[(٤)]؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان الحكم: (لابد لكل عبد من التوبة ، وهي واجبة على الأولين والآخرين) [(٥)].

قال ابن قيم الجوزية في ذلك أيضًا: (إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها، عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة)[(٦)].

وبهذا يتبين أن حكم طلب الغفران من الله عز وجل، والمسارعة في التوبة له، واجب على الفور، وعلى جميع العباد، مع العلم أن البعض من الناس قد يجهل أن ما وقع منه أو فيه، يلزم عليه طلب الغفران من الله؛ لجهله بوجوبه عليه، أو قبحه.

---

( ١) سورة النور، الآية: (٣١).

( ٢) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم العراقي ت: د. محمد محمد تامر، دار الآفاق العربية، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٤م (٤/٥ – ٦) بتصرف.

( ٣) هو الإمام محيي الدين أبو زكريا بن شرف النووي الدمشقي ولد عام (٦٣١هـ) في مدينة نوى في الشام، من مصنفاته: المنهاج، رياض الصالحين، توفي عام (٦٧٦هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/٢٧٨).

( ٤) انظر: شرح رياض الصالحين للإمام النووي: شرحه الشيخ محمد بن عثيمين، مكتب الأنصار – مصر، (ط١) ٢٠٠٣م (١/٣٠٨)، المنهاج بشرح صحيح مسلم: للإمام النووي، دار ابن حزم، بيروت (ط١)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ص(١٩٢٠)، بتصرف.

( ٥) الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣١٠).

( ٦) مدارج السالكين (١/٢١١)، وللاستزادة انظر التوبة (١٠١).

وفي المقابل هناك البعض من الناس يدرك وجوب طلب للغفران عن ذنوب اقترفها ، أو لتقصيرٍ حاصل منه في أداء واجبات عليه ، ومن هنا يتبين أن التوبة طلبًا للغفران أنواع:

**١ – توبة خاصة:**

كل ذنب له توبة تخصه، وهي فرض منه، لا تتعلق بالتوبة من الآخر، كما لا يتعلق أحد الذنبين بالآخر.

وأما التوبة من ذنب بعينه، مع الإصرار على آخر من نوعه، فإن هذه التوبة لا تصح، كمن تاب من الزنا بامرأة، وهو مصر على الزنا بغيرها.

فهذا في الحقيقة لم يتب من الذنب، وإنما عدل عن نوع منه إلى نوع آخر ، فلا تصح توبته، وهذا بخلاف من تاب عن ذنب، مع مباشرته آخر لا تعلق له به، ولا هو من نوعه ، فإن توبته تصح فيما تاب منه، كمن تاب من الربا، ولم يتب من شرب الخمر مثلاً، فإن توبته من الربا صحيحة[١].

**٢ – توبة عامة:**

وهي التوبة مما يعلم من ذنوبه، ومما لا يعلم، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان التوبة العامة:

فمن تاب توبة عامة، كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلها، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب، إلا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص، مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه؛ لقوة إرادته إياه، أو لاعتقاده أنه حسن ليس بقبيح، فما كان لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأما ما كان لو حضر بعينه لكان مما يتوب منه، فإن

( ١) انظر: مدارج السالكين (٢١٢/١) بتصرف.

( ٢) انظر: السابق (٢١١/١) بتصرف.

التوبة العامة شاملته... والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك، فإن التوبة واجبة على كل عبد في كل حال؛ لأنه دائمًا يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور، أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائمًا[1].

وبهذا نخلص إلى أنه يجب على جميع العباد المبادرة، والسعي في طلب الغفران من الله عز وجل في جميع أحوالهم، وفي جميع أمور حياتهم، وعلى أن يكون طلبهم للغفران طلبًا عامًا شاملاً، لما يعلمون وما لا يعلمون؛ فإن فضل الله واسع، ورحمته قريبة.

---

(١) انظر: الفتاوى (١٠/٣٢٨ – ٣٣٠) بتصرف، للاستزادة انظر: شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الدمشقي ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، (٢/٤٩٨).

# الفصل الثاني

# دوافع طلب الغفران عند المسلمين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الترغيب والترهيب الإلهي لطلب الغفران.

المبحث الثاني: الوقوع في الخطايا.

المبحث الثالث: التقصير في العبادات.

# المبحث الأول

## الترغيب والترهيب الإلهي لطلب الغفران

حين خلق الله تعالى الناس لم يخلقهم معصومين من الخطأ، بعيدين عن الزلل، بل جعلهم الله قادرين على فعل الخير والشر.

ورأس الخير طاعة الله - عز وجل -، واتباع أوامره، ورأس الشر عصيانه، وارتكاب محظوراته.

من هنا كان من دوافع طلب الغفران ذلك الأسلوب، والمنهج الإلهي الذي اتبعه الشارع - عز وجل - في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ليحث عباده للمسارعة في طلب الغفران، وهو «الترغيب والترهيب الإلهي لطلب الغفران».

إن أسلوب الترغيب والترهيب هو أسلوب شرعي بارز في كتاب الله - عز وجل -، وفي سنة رسول الله ﷺ؛ لما لهذا الأسلوب من أثر على النفوس البشرية؛ ليظل الإنسان حريصًا على نيل الثواب، والبعد عن العقوبة، ولاختلاف الطبائع البشرية فيما بينهم، فمن لا يؤثر فيه الترغيب وثوابه، يؤثر فيه الترهيب وعقابه.

فالترغيب أسلوب تشويق، والترهيب أسلوب تخويف، وتحذير.

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين له عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] .

قال الإمام الطبري في تفسير الآية: (أي: أنهم كانوا يعبدون رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمة وفضل، ورهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته، وركوبهم معصيته)[2] .

---

( ١) سورة الأنبياء، الآية: (٩٠).

( ٢) تفسير الطبري (٨٣/١٧).

لذلك نجد الشارع في محكم كتابه تارةً يدعو عباده لطلب الغفران بأسلوب الترغيب، وتارةً بأسلوب الترهيب، وثالثة بهما معاً، والشواهد على ذلك كثيرة ؛ فمن الأدلة على أسلوب الترغيب، ترغيبه عباده في نيل مغفرته الواسعة، فقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[3].وقال تعالى:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[4]، وبالترغيب مع مغفرته، إبدال السيئات حسنات لمن تاب:﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [5].

وفي موضع آخر يرغب الشارع مع مغفرته، بالأرزاق والبنين، قال تعالى في قصة نوح مع قومه:﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [6].

وقد جاءت السنة بأسلوب الترغيب لطلب الغفران، فطالب الغفران كمن لا ذنب له قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[7]، وقال أيضًا مرغبًا بالوعد بالمغفرة والستر في الآخرة، قال ﷺ: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا اغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته...) [8].

---

( ١) سورة الزمر، الآية: (٥٣).

( ٢) سورة الرعد، الآية: (٦).

( ٣) سورة الكهف، الآية: (٥٨).

( ٤) سورة طه، الآية: (٨٢).

( ٥) سورة الفرقان، الآية: (٧٠).

( ٦) سورة نوح، الآيات: (١٠ – ١٢).

( ٧) سبق تخريجه ص(٧٥).

( ٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قوله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، برقم (٢٤٤١) بمثله =

قال ابن حجر رحمه الله: والكنفة: (هو الستر)[1].

وقالﷺ مرغبًا بواسع فضل الله وغفرانه: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني، ورجوتني، غفرت لك ما كان فيك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة)[2].

ومن الشواهد على أن أسلوب الترهيب لطلب الغفران تارة يكون بالتخويف من النار ، وتارة بالوعيد بالعذاب، وتارة بالغضب واللعنة، وتارة بالتحذير من حبوط العمل، وعدم القبول: قال تعالى مخوفًا:﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[3]، وقال متوعدًا:﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[4]، وقال محذرًا :﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[5]، وقال أيضًا:﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6].

ومما جاءت به السنة من أسلوب الترهيب لطلب الغفران قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم

---

=وبرقم (٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٦٥١٤)، ص(١٩٢، ٣٨٩، ٥١٣، ٦٢٦)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، وفداء كل مسلم بكافر من النار)، برقم (٢٧٦٨) بمثله ص(١١٥٨)، موسوعة الحديث الشريف.

(١) فتح الباري (٤٨٨/١٠).

(٢) سبق تخريجه ص(٧١).

(٣) سورة الزمر، الآية: (١٦).

(٤) سورة الفتح، الآية: (٦).

(٥) سورة الفرقان، الآية: (٢٣).

(٦) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار»[1].

ومن الشواهد على الجمع بين الترغيب والترهيب لطلب الغفران قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، قال الطبري في تفسير الآية: (يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه، وخلافه أمره فيما أمره به، ونهاه، ولمن ابتلي منه فيما منحه من فضله، وطوله، تولياً وإدبارًا عنه، مع إنعامه عليه، وتمكينه إياه في الأرض، كما فعل بالقرون السالفة ، وإنه لغفور وإنه لساتر ذنوب من ابتلي منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة واختباره إياه بأمره، ونهيه، فمغط عليه فيها، وتارك فضيحته بها في موقف الحساب، رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه؛ إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه)[3]. وقال تعالى أيضًا:﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]، قال الطبري :( يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه على معصيته إياه، وهو غفور لذنوب من أطاعه وأناب إليه، فساتر عليه، وتارك فضيحته بها، رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه، بعد إنابته وتوبته منها)[5]. وقال تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[6]، وقال تعالى:﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

( ١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف يمين النبي ×، برقم (٦٦٣١) بمثله وبرقم (٥٢٢١) ص(٤٥١، ٥٥٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، ونحوهما، برقم (٤٢٦) بمثله ص(٧٤٦)، موسوعة الحديث الشريف.

( ٢) سورة الأنعام، الآية: (١٦٥).

( ٣) تفسير الطبري (١١٤/٨).

( ٤) سورة المائدة، الآية: (٩٨).

( ٥) تفسير الطبري (٧٨/٧).

( ٦) سورة الحجر، الآيتان: (٤٩ — ٥٠).

هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [1]، قال الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية : (غافر الذنب للمذنبين ، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على من تجرأ على الذنوب ، ولم يتب منها) [2]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [3].

ومن السنة قوله ﷺ: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله، فالشرك بالله، قال الله عز وجل:﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[4]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا، فظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك، ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا، فظلم العباد بعضهم بعضًا القصاص لا محالة» [5].

إن المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، يخاف أن تحل به نقمة الله، أو ينزل عليه عذابه، ويرجو رحمة الله – عز وجل – الذي وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، فيعبد الله، ويطلب منه الغفران بالخوف والرجاء.

قال ابن قيم الجوزية في بيان ذلك: (أبنية التذكر ثلاثة: الانتفاع بالعظة، والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة، والانتفاع بالعظة: هو أن يقدح في القلب قادح الخوف والرجاء، فيتحرك للعمل، طلبًا للخلاص من الخلاف، ورغبة في حصول المرجوّ، والعظة هي الأمر والنهي،

---

( ١ ) سورة غافر، الآية: (٣).

( ٢ ) تفسير ابن سعدي (٧٣١).

( ٣ ) سورة البروج، الآيات: (١٢ – ١٦).

( ٤ ) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

( ٥ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٦٥٥٩) بمثله ص(١٩٢٥) مسند الإمام أحمد. صححه الحاكم (٤ / ٥٧٦).

المعروف بالترغيب والترهيب... ويشتد افتقار العبد إلى العظة – وهي الترغيب والترهيب – إذا ضعفت إنابته، وتذكره، وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره: لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي)[1].

(١) مدارج السالكين (١/٣٣٦ – ٣٣٧).

# المبحث الثاني

## الوقوع في الخطايا

إن الوقوع في الخطايا يؤدي إلى غضب الله – عز وجل – وعقابه، فالخطايا مقوضة لكيان الأمم، وهي معاول هدم تجلب الدمار، وتؤدي إلى زوال النعم، وشقاء الأمم، من هنا حث الشارع – عز وجل – من وقع فيها إلى طلب الغفران، وكان حقًا على من وقع في الخطايا: صغيرها أو كبيرها، قليلها أو كثيرها، أن يطلب الغفران من الله – عز وجل – وقايةً له من غضب الله، وعقوبته في الدنيا والآخرة.

**أولاً: المراد بالخطايا:**

هي جمع خطيئة، قال الإمام الغزالي في تعريفها: (كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل) [1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في تعريفها: (هي مخالفة الأمر الشرعي، فمن خالف أمر الله الذي أرسل به رسله، وأنزله به كتبه فقد عصى) [2].

**ثانيًا: ألفاظ تدخل في معنى الخطايا:**

لقد أورد القرآن الكريم ألفاظاً أخرى تدخل في معنى الخطايا، والتي منها ما يلي:

**١ – الخطيئة** الذنب عن عمد جمعها خطايا[3]، قال تعالى:﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [4]، وقال تعالى مبينًا أن الوقوع في الخطايا من دوافع طلب الغفران، فقال على لسان سحرة فرعون، حين آمنوا وتابوا من سحرهم وآمنوا بالله:﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [5].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢١).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٨/٢٦٩).

(٣) لسان العرب (١/٦٧) مادة (خطأ).

(٤) سورة نوح، الآية: (٢٥).

(٥) سورة الشعراء، الآية: (٥١).

**٢ – الإثم**: الذنب، وهو أن يعمل ما لا يحل له[1]، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾ [2]، وقال تعالى مبينًا أن من أسباب جلب الغفران للعبد اجتناب الإثم:﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [3].

**٣ – المعصية**: خلاف الطاعة، وهي الخروج عن الطاعة[4]، قال تعالى محذرًا من الوقوع في المعاصي:﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [5].

**٤ – الذنب**: الإثم والجرم، والمعصية[6]، قال تعالى محذرًا من الوقوع في الذنوب:﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [7]، قال تعالى في طلب العباد الغفران من الله – عز وجل – عن ذنوبهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[8].

**٥ – السيئة**: الخطيئة، وهو كل عملٍ وأمر فاسد قبيح فهو سيئة[9]، جمعها: سيئات، قال قال تعالى:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [10]، وقال تعالى مبينًا أن من دوافع طلب الغفران ارتكاب السيئات:﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا

---

( ١) لسان العرب (٥/١٢) مادة (أثم).

( ٢) سورة الأعراف، الآية: (٣٣).

( ٣) سورة النجم، الآية: (٣٢).

( ٤) لسان العرب (٦٧/١٥) مادة (عصا).

( ٥) سورة الجن، الآية: (٢٣).

( ٦) لسان العرب (٣٨٩/١) مادة (ذنب).

( ٧) سورة الأنعام، الآية: (٦).

( ٨) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

( ٩) انظر: لسان العرب (٩٧/١) مادة (سوأ).

( ١٠) سورة الأنبياء، الآية: (٧٧).

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

٦ – **الإصر**: الإثم والعقوبة لِلَغْوِهِ وتضييعه عمله[2]. قال تعالى في حق وجزاء من آمن بالله، واتبع الرسول ﷺ من اليهود والنصارى:﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾ [3].

٧ – **البغي**: التعدي، وهو العدول عن الحق، والاستطالة[4].

٨ – **الفاحشة**: القبيح من القول والفعل[5].

٩ – **المنكر**: هو ضد المعروف، كل ما قبحه الشرع، وحرمه، وكرهه فهو منكر[6]، قال تعالى ناهيًا عن الفحشاء والمنكر والبغي:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [7]، ومما ورد في كتاب الله يبين أن من دوافع طلب الغفران فعل الفاحشة قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [8].

١٠ – **اللمم**: هي صغائر الذنوب[9]، قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [10]. قال ابن كثير في تفسيره للمم: (اللمم من صغائر الذنوب، ومحقرات الأعمال)[11].

---

( ١) سورة الأعراف، الآية: (١٥٣).

( ٢) لسان العرب (٤/٢٣) مادة ( أصر).

( ٣) سورة الأعراف، الآية: (١٥٧).

( ٤) لسان العرب (١٤/٧٨)مادة (بغا).

( ٥) لسان العرب (٦/٣٢٥) مادة (فحش).

( ٦) لسان العرب (٥/٢٣٣) مادة (نكر).

( ٧) سورة النحل، الآية: (٩٠).

( ٨) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

( ٩) لسان العرب (١٢/٥٥٠) مادة (لمم).

( ١٠) سورة النجم، الآية: (٣٢).

( ١١) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٠).

**١١ – الفسق**: العصيان، والترك لأمر الله – عز وجل –، والخروج عن الحق[١]. قال تعالى:﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [٢].

**١٢ – العتو**: الاستكبار، والعصيان، ومجاوزة الحد[٣]. قال تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ [٤].

**١٣ – الحوب**: الإثم؛ فكل مأثم يطلق عليه حوب[٥]، قال تعالى:﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [٦]، قال ابن كثير في تفسير الآية: (إن أكلكم أموالهم مع أموالكم إثم عظيم، وخطأ كبير، فاجتنبوه)[٧].

**١٤ – الفساد**: نقيض الصلاح[٨]. قال تعالى محذرًا ومتوعدًا المفسدين:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [٩]. قال الشيخ ابن سعدي في بيان معنى الفساد: (الفساد إما أن يكون مفسدًا في الأرض، بإفساده لأديان الناس، أو أبدانهم، أو أموالهم) [١٠].

---

(١) لسان العرب (٣٠٨/١٠) مادة (فسق).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (٧).

(٣) لسان العرب (٢٧/١٥) مادة (عتا).

(٤) سورة الطلاق، الآية: (٨).

(٥) لسان العرب (٣٣٩/١) مادة (حوب).

(٦) سورة النساء، الآية: (٢).

(٧) تفسير ابن كثير (٢٠٨/٢).

(٨) لسان العرب (٣٣٦/٣) مادة (فسد).

(٩) سورة المائدة، الآية: (٣٣).

(١٠) تفسير ابن سعدي ص(٢٢٩).

**١٥ – المحظور**: هو المحرم، والممنوع، جمعه محظورات[1].

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على بعض الألفاظ الداخلة في معنى الخطايا، فقال عن ذلك: (لفظ «المعصية»، و«الفسوق» و«الكفر»، فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[3]، فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودًا معصية تكذيب لجنس الرسل، فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾[4])[5].

)[4][5].

**ثالثًا: أقسام الخطايا:**

**١ – أقسام الخطايا بالإضافة إلى صفات العبد:**

إن للإنسان أوصافًا وأخلاقًا كثيرة، ولكن تنحصر مثارات الخطايا في أربع صفات بينّها العلماء في مصنفاتهم[6].

قال الإمام الغزالي في بيان أقسام الذنوب، بالإضافة إلى صفات العبد: تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات: صفات ربوبية، وصفات شيطانية، وصفات بهيمية، وصفات سبعية...

---

(١) لسان العرب (٢٠٣/٤) مادة (حظر).

(٢) سورة الجن، الآية: (٢٣).

(٣) سورة هود، الآية: (٥٩).

(٤) سورة الملك، الآية: (٩).

(٥) الفتاوى لابن تيمية (٥٩/٧).

(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٢١/٤)، الاستقامة لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، (ط١)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص(٣٧٣)، طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، ت: حازم القاضي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، (ط١)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص(١٤٠ – ١٤١)، مدارج السالكين (٣٠٤/١ – ٣٠٩)، التوبة والإنابة (٣٣٧)، كتاب التوبة لابن قيم الجوزية (٢٢٩ – ٢٣٣).

فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية، فمثل: الكبر، والفخر، وحب المدح، وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول: أنا ربكم الأعلى، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب، غفل عنها الخلق، ولم يعدوها ذنوبًا، وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي، والثانية: هي الصفات الشيطانية، ومنها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والنفاق والبدع... الثالث: الصفات البهيمية، ومنها يتشعب الشره والكلب، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا، وفاحشة قوم لوط، والسرقة، وأكل مال الأيتام، وجمع الحطام لأجل الشهوات. الرابعة: الصفات السبعية ، ومعنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر، وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه، فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع بالغضب إلى الظلم والإيذاء، ومن الصفات السبعية يتشعب الغضب، والحقد، والتهجم على الناس بالضرب والشتم، والقتل، واستهلاك الأموال[١].

### ٢ – أقسام الخطايا من حيث من وقعت في حقه:

فالخطايا إما أن تكون بين العبد وبين الله – عز وجل –، أو بينه وبين العباد، قال الإمام الغزالي رحمه الله مبينًا المقصود بهذا التقسيم: اعلم أن الذنوب تقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد. فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة، والصوم، والواجبات الخاصة به، وما يتعلق بحقوق العباد، كتركه الزكاة، وقتله النفس، وغصبه الأموال، وشتمه الأعراض، وكل متناول من حق الغير...، وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركًا، فالعفو فيه أرجى وأقرب، وقد جاء في الخبر[٢]، الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر، وديوان لا يغفر، وديوان لا يترك[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢١ – ٢٢) وللاستزادة انظر: الاستقامة لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، (ط١)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص(٣٧٣)، طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، ت: حازم القاضي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، (ط١)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص(١٤٠ – ١٤١)، مدارج السالكين (١/٣٠٤ – ٣٠٩)، التوبة والإنابة (٣٣٧)، كتاب التوبة لابن قيم الجوزية (٢٢٩ – ٢٣٣).

(٢) انظر هامش (٥) ص(٨٤).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٢٢).

### ٣ – أقسام الخطايا من حيث العقوبة:

قال ابن قيم الجوزية في بيان المقصود بهذا التقسيم: (ثم إنه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة أقسام: قسمًا فيه الحد، فهذا لم يشرع فيه كفارة الاكتفاء بالحد، وقسمًا لم يرتب عليه حدًا، فشرع فيه الكفارة، كالوطء في نهار رمضان، وقتل الخطأ... وقسمًا لم يرتب عليه حدًا، ولا كفارة، وهو نوعان: أحدهما: ما كان الوازعُ عنه طبيعيًا كأكل العذرة، وشرب البول والدم. والثاني: ما كانت مفسدته أدنى من مفسدة ما رتب عليه الحد، كالنظر، والقبلة، واللمس، والمحادثة، وسرقة فلسٍ، ونحو ذلك)[1].

### ٤ – أقسام الخطايا من حيث عظمها:

يرى جمهور أهل السنة أن الخطايا تنقسم إلى قسمين من حيث عظمها:

كبائر، وصغائر، قال الإمام الغزالي عن ذلك: اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر اختلاف الناس فيها... والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها، وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر... فكل ما يسدّ باب معرفة الله تعالى، فهو أكبر الكبائر كالكفر، والبدع المتعلقة بذات الله، وصفاته، وأفعاله. ويليه ما يسدّ باب حياة النفوس، والتي ببقائها وحفظها تدوم الحياة، وتحصل المعرفة بالله، فقتل النفس لا محالة من الكبائر، والزنا، وفاحشة قوم لوط... فالزنا يشوش الأنساب، ويبطل التوارث، وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها، ويليه باب ما يسدّ المعايش التي بها حياة الناس، فالأموال معايش الخلق، لا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما، بل ينبغي أن تحفظ

---

(١) الداء والدواء للإمام ابن قيم الجوزية، ت: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام (ط٩)، ١٤٢٥هـ، ص(١٧٥ – ١٧٦).

لتبقى ببقائها النفوس[1].

وقال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في تقسيم الخطايا للكبائر وصغائر: (والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف، وبالاعتبار قال تعالى:﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»[3])[4].

### ٥ – أقسام الخطايا من حيث الفعل والترك:

المراد بالترك، أي ترك القيام بالواجبات، والفعل: أي فعل المحظورات إن ترك القيام بالواجبات التي أمر الشارع – عز وجل – عبادة بها، وفعل المحظورات التي منعهم الشارع – عز وجل – عنها كلاهما من السيئات والخطايا والذنوب، بل إن ترك الواجبات أعظم من فعل المحرمات، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – القاعدة في أن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وأن جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي، وأن كليهما من السيئات والخطايا والذنوب، فقال عن ذلك: (إن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس ترك المنهي عنه، وإن جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي عنه، وإن مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وإن عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات... وبيان هذه القاعدة من وجوه – أذكر بعضًا منها –:

١ – أن أول ذنب عُصي الله به كان من أبي الجن، وأبي الإنس، أبوي الثقلين المأمورين، وكان ذنب أبي الجن أكبر وأسبق، وهو ترك المأمور به، وهو ترك السجود إباء واستكبارًا، وذنب أبي الإنس كان ذنبًا صغيرًا، وهو إنما فعل المنهى عنه، وهو الأكل من الشجرة.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٦ – ٢٧).

(٢) سورة النساء، الآية: (٣١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر برقم (٢٣٣) بمثله ص(٧٢٠)، موسوعة الحديث الشريف.

(٤) مدارج السالكين (١/٢٤١).

٢ – أنه قد تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلاً منهيًا عنه؛ مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ ما لم يتضمن ترك الإيمان، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به، مثل: الإيمان بالله وملائكته وكتبه... فإنه يكفر به بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة.

٣ – أن الحسنات التي هي فعل المأمور به تذهب بعقوبة الذنوب والسيئات التي هي فعل المنهي عنه، فإن فاعل المنهي يذهب إثمه بالتوبة، وهي حسنة مأمور بها، وأما الحسنات فلا تذهب ثوابها السيئات مطلقًا، فإن حسنة الإيمان لا تذهب إلا بنقيضها، وهو الكفر.

٤ – أن تارك المأمور به عليه قضاؤه وإن تركه لعذر، مثل ترك الصوم لمرض أو لسفر، بخلاف فاعل المنهي عنه، فإنه تكفي فيه التوبة إلا في مواضع إذا اقترن به إتلاف كقتل النفس.

٥ – أن مبادئ الإسلام الخمس المأمور بها، وإن كان ضرر تركها لا يتعدى صاحبها، فإنه يقتل بتركها في الجملة عند جمهور العلماء، ويكفر عند أكثر السلف، وأما فعل المنهي عنه الذي لا يتعدى ضرره صاحبه، فإنه لا يقتل به عند أحد من الأئمة، ولا يكفر به إلا إذا ناقض الإيمان، لفوات الإيمان، وكونه مرتدًا أو زنديقًا.

٦ – أن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع؛ فأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة، وجماعة المؤمنين، أما أهل المعاصي، فذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه: من سرقة أو زنا...

٧ – أن ضلال بني آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأملته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق، لا من التصديق بالباطل، فأصل الهدى ودين الحق هو: إثبات الموجود؛ وفعل المقصود؛ وترك المحرم؛ ونفي الباطل تبع، وأصل الضلال ودين الباطل: التكذيب بالحق الموجود، وترك الحق المقصود، ثم فعل المحرم، وإثبات الباطل تبع لذلك.

٨ – أن الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امتثال المأمور به، والوعيد على المعصية بتركه، فاتباع الأمر أصل عام، واجتناب المنهي عنه فرع خاص.

٩ – أن المأمور به هو الأمور التي يصلح بها العبد، ويكمل، والمنهي عنه هو ما يفسد به، وينقص؛ فإن المأمور به من العلم والإيمان وإرادة وجه الله تعالى وحده، ومحبته...

ولا يكون صلاح الشيء وكماله إلا في أمور وجودية قائمة به، لكن قد يحتاج إلى عدم ما ينافيها، فيحتاج إلى العدم بالعرض، فعلم أن المأمور به أصل، والمنهي عنه تبع فرع.

١٠ – أن الله لم يأمر بأمر إلا وقد خلق سببه ومقتضيه في جبلة العبد، وجعله محتاجًا إليه، وفيه صلاحه وكماله، وأمر بأمور في القلوب معرفتها ومحبتها، ونهى عن أمور تنكرها القلوب، فلا يفعل الآدمي المنهي عنه إلا لجهله به، وجهله فلعدم فعل المأمور به من العلم، فثبت أن المأمور به خلق الله في العبد سببه ومقتضيه، وأن المنهي إنما يقع لعدم الفعل المأمور به المانع عنه.

١١ – أن فعل الحسنات يوجب ترك السيئات، وليس مجرد ترك السيئات يوجب فعل الحسنات... فوجود الحسنات يمنع السيئات، وإن عدم السيئات لا يوجب الحسنات، فصار في وجود الحسنات الأمران بخلاف مجرد عدم السيئات، فليس فيه إلا أمر واحد، وهذا هو المقصود.

١٢ – أن فعل الحسنات موجب للحسنات أيضًا، فالإيمان يقتضي الأعمال الصالحة.. وأما عدم السيئة فلا يقتضي عدم سيئة، إلا إذا كان امتناعًا، فيكون من باب الحسنات[١].

هذه بعضٌ من الأوجه التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لبيان وجه دخول ترك الواجبات، وفعل المنهيات من الخطايا، بل إن ترك الواجبات أعظم خطيئةً من فعل المنهيات.

(١) انظر: الفتاوى (٢٠/٨٥ – ١٦٦)، وللاستزادة انظر: الداء والدواء: لابن قيم الجوزية، ص(١٩٠).

# المبحث الثالث

## التقصير في العبادات

إن نعم الله – عز وجل – على عباده لا تُعد، ولا تُحصى، قال تعالى:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]، وحق النعمة شُكر المنعم. ومهما شكر العبد ربه فإنه لن يفي الخالق المنعم – سبحانه – على هذه النعم شُكراً.

كما وقد شرع الله – عز وجل – على عباده عبادات يقومون بها تعبدًا له، وتقربًا إليه، وقيام العباد بها لله – عز وجل – لابد وأن يلحق ما قاموا به من عبادات نقص أو تقصير، ولا عجب، فهو ناجم عن الطبيعة البشرية للعباد التي يلحقها النقص، من هنا ينشأ دافعٌ من دوافع طلب الغفران لدى العباد الموحدين ليسدوا ما ورد على عباداتهم من نقص وتقصير.

المراد بالتقصير: هو الكف عن الشيء مع القدرة عليه، والتقصير في الأمور التواني فيه[2].

والعبادات: جمع عبادة، قال ابن تيمية – رحمه الله – في تعريف العبادة: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة)[3].

وقد جاءت أدلة من الكتاب والسنة تحث على طلب الغفران عقب القيام بالعبادات، وجاء ذلك بصيغة الثناء على عبادٍ كانت هذه طريقتهم، وصفتهم عقب أدائهم للعبادات، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ

---

( ١) سورة النحل، الآية: (١٨).

( ٢) لسان العرب (٩٧/٥ – ٩٨) مادة (قصر).

( ٣) الفتاوى لابن تيمية (١٤٩/١٠).

(٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [١]. وقد بيّن النبي ﷺ المراد بالآية حين سألته عائشة[٢] رضي الله عنها، فقالت: أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر، ويخاف؟ فقال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف ألا يتقبل منه»[٣].

وقد بيّن العلماء المراد بالوجل الوارد في الآية، وذلك في معرض بيانهم، وتفسيرهم للدافع الذي ظهر عنه هذا الوجل، مما يؤكد على أن التقصير في العبادات دافع من دوافع طلب الغفران.

قال ابن كثير في تفسير الآية: (أي: مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم... يعطون العطاء، وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الاعطاء) [٤].

وقال آخر: (وقلوبهم وجلة): (خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم) [٥].

وقال الشيخ ابن سعدي: (أي وجلون، مشفقة قلوبهم، كل ذلك من خشية ربهم خوفًا أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: (٥٧ – ٦١).

(٢) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق. زوجة رسول الله ﷺ أم المؤمنين. تزوجها الرسول بكرًا وعمرها تسع سنوات. والدها أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة. صاحب رسول الله ﷺ برأها الله في حادثة الإفك بقرآن يتلى. توفيت سنة (٥٨هـ) وعمرها (٦٥). انظر: الاستيعاب لأبي عمر القرطبي، والإصابة لابن حجر، المكتبة التجارية، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، الاستيعاب (٣٤٥/٤)، الإصابة (٣٥٠/٤)، الأعلام للزركلي (٢٤٠/٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عائشة رضي الله عنها برقم (٢٥٧٧٧) بمثله ص(١٨٧٤) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة المؤمنين برقم (٣١٧٥) بمثله ص(١٩٧٤)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل برقم (٤١٩٨) بمثله ص(٢٧٣٢)، موسوعة الحديث الشريف. صححه الإمام الحاكم في مسنده، والإمام الألباني في السلسلة الصحيحة على سنن الترمذي ص(٧١٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٨٠/٣).

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل. المعروف بتفسير النسفي: للإمام أبي البركات عبد الله النسفي، دار الفكر (١٢٣/٣).

تعالى، وخوفًا على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات) [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان معنى الحديث: (يتوب المرء مما يعده حسنات له، وهو مقصر في فعله، أو خائف من تقصيره في فعله، كما قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ ، وقد روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله.... الحديث، وهذا لأن الله تعالى يقول في كتابه:﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [2]، أي من الذين يتقونه في العمل...) [3]، وقال أيضًا في موضع آخر: (وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه، كخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور) [4].

وقد بسط ابن قيم الجوزية الحديث عن التقصير في العبادات، كدافع من دوافع طلب الغفران في مصنفه مدارج السالكين، وذلك في معرض حديثه عن منزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وهي منزلة الخُلُق فقال: (تحسين خلقك مع الحق، وتحسينه منك: أن تعلم أن كل ما يأتي منك يوجب عذرًا، وأن كل ما يأتي من الحق يوجب شكرًا، وأن لا ترى له من الوفاء بداء، وهذا مبني على قاعدتين:

القاعدة الأولى: أن تعلم أنك ناقص، وكلُّ ما يأتي من الناقص ناقص، فهو يوجب اعتذاره منه لا محالة، فعلى العبد أن يعتذر إلى ربه من كل ما يأتي به من خير وشرّ. أما الشر: فظاهر، وأما الخير: فيعتذر من نقصانه، ولا يراه صالحًا لربه، فهو – مع إحسانه – معتذر في إحسانه، ولذلك مدح الله أولياءه بالوجل منه مع إحسانهم بقوله:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

---

(١) تفسير ابن سعدي (٥٥٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٢٧).

(٣) التوبة: لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار القاسم، الرياض، (ط١)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص(٤٩ – ٥٠).

(٤) الفتاوى (٧/٤٩٦).

وقال النبي ﷺ: «هو الرجل يصوم ويتصدق...».

فإذا خاف فهو بالاعتذار أولى.

والحامل له على هذا الاعتذار أمران:

أحدهما: شهود تقصيره ونقصانه.

والثاني: صدق محبته؛ فإن المحب الصادق يتقرب إلى محبوبه بغاية إمكانه وهو معتذر إليه، مستحي منه.

والقاعدة الثانية: استعظام كل ما يصدر منه سبحانه إليك، والاعتراف بأنه يوجب الشكر عليك، وأنك عاجز عن شكره. ولا يتبين هذا إلا في المحبة الصادقة) [1].

وقال في موضع آخر: (وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارًا عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه) [2].

وقد وردت شواهد كثيرة في كتاب الله عز وجل، حث فيها الشارع عباده المؤمنين على التوبة، الاستغفار... عقب طاعاتهم، وفي هذا تأكيدٌ منه على أن التقصير والنقص وارد على الطاعات؛ لذا أرشدهم إلى اتباع طاعاتهم بطلب الغفران سدًا للنقص، وإكمالاً لما قصر، قال تعالى للقائمين بفريضة الحج:﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [3]، وقال للقائمين الليل بالصلاة:﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [4]، بل وحث نبيه ﷺ على ذلك حين قال له:﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٤٦).

(٢) مدارج السالكين (١/١٣٩).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: (١٩٨، ١٩٩).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٧).

دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [١].

وفي السنة النبوية شواهد كثيرة أكدت على طلب الغفران عقب العبادات، مما يؤكد أن التقصير في العبادات وارد على المؤمنين، ويُسد النقص، ويُكمل التقصير بطلب العباد من الله – عز وجل – الغفران الحاصل في عباداتهم.

لهذا حث النبي ﷺ أمته على طلب الغفران في مواضع مختلفة من العبادات، بل واشتهر عنه عليه الصلاة والسلام كثرة طلبه للغفران، رغم أنه قد غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر، فقال عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» [٢]. طلب الغفران أثناء العبادة، قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا، وبحمدك، اللهم اغفر لي) [٣]، وأيضًا ما روي عن النبي ﷺ من طلب الملائكة الغفران من الله للعباد أثناء طاعاتهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» [٤]، أيضًا طلب الغفران عقب الصلاة، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثًا، وقال: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام) [٥]،

---

(١) سورة النصر، الآيات: (١ – ٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة برقم (٦٣٠٧) بمثله ص(٥٣١)، موسوعة الحديث الشريف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع برقم ٧٩٤٠، ٨١٧، ٤٢٩٣، ٤٩٦٧، ٤٩٦٨) بمثله (٦٣، ٦٥، ٣١٥، ٤٣١)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤) بمثله ص(٨٥٤)، موسوعة الحديث الشريف.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب الحدث في المسجد برقم (٤٤٥) بمثله ص(٣٨)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد، باب فضل الصلاة المكتوبة في جماعة وفضل انتظار الصلاة وكثرة الخطأ إلى المساجد وفضل المشي لها برقم (٦٤٩) بمثله وزيادة في أوله ص(٧٨١)، موسوعة الحديث الشريف.

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد، باب ما يستعاذ في الصلاة برقم (٥٩١) بمثله ص(٧٦٩)،

وما يقال عقب الوضوء للصلاة: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين: فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء) [1]. أيضًا ما ورد عنه في الحث على طلب العفو لمن قام ليلة القدر، فقال عليه الصلاة والسلام حين سألته عائشة -رضي الله عنها- عن ذلك: يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو؟ فقال: (تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) [2].

هذه بعضٌ من الشواهد الواردة عن النبي ﷺ تضمنت ما يدل على أن التقصير وراد على العبادات؛ لذلك حث عليه الصلاة والسلام على طلب الغفران في مواضع مختلفة للعبادات.

---

موسوعة الحديث الشريف.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء برقم (٥٥) بمثله ص(١٦٣٦) موسوعة الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند عائشة برقم (٢٥٨٩٨، ٢٦٠١٠، ٢٦٠١٢، ٢٦٠٢٠) بمثله ص(٢٥٩٠١، ٢٦٠٢١)، مسند الإمام أحمد، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الدعوات، باب فضل سؤال الله العافية والمعافاة برقم (٣٥١٣) بمثله (٢٠١٣)، موسوعة الحديث الشريف، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير، باب الغفور الرحيم برقم (٧٧١٢) بمثله (٤٠٧/٤)، وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية برقم (٣٨٥٠) بمثله ص(٢٧٠٦)، موسوعة الحديث الشريف. قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح ص(٧٩٨).

# الفصل الثالث

## وسائل طلب الغفران عند المسلمين، ولوازمه، وآثاره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل طلب الغفران.

المبحث الثاني: لوازم طلب الغفران.

المبحث الثالث: آثار الغفران الدنيوية والأخروية.

# المبحث الأول

## وسائل طلب الغفران

الوسائل: من فعل وسل، أي: عمل، يقال: توسل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل، والوسيلة: الوصلة والقربى، جمعها وسائل، وهي ما يُتقرب به إلى الغير[1]، والوسائل هنا المراد بها: الأعمال التي يتقرب بها العبد من الله.

يقول الدكتور حسني المصري: إن نيل الغفران من الله – عز وجل – مطلب من أهم المطالب في الدنيا والآخرة، وأعلاها قدرًا، وأسماها منزلة، لما يترتب عليه من السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة في الدار الآخرة، وبهذا يكون قد فاز العباد بكل مرغوب، ونجوا من كل مرهوب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وقد كتب الله على نفسه الرحمة؛ فبها يعامل خلقه، وبها أيضًا يدعوهم إلى التقرب إليه، والرجوع إليه، وما أوسع باب العفو، وأفسح ساحة الغفران عنده[2].

لهذا شرع الغفور الرحيم لعباده المخطئين، والمقصرين وسائل كثيرة ومتنوعة؛ ليتطهروا بها من الذنوب، وليسدوا ما نقص، ويكملوا ما قصر من طاعاتهم، تهذيبًا لأنفسهم، وتربيةً لها على المجاهدة، والرقي في مدارج العبودية الخالصة لله – عز وجل – موحدين تائبين جامعين بين الخوف والرجاء.

وعند النظر إلى وسائل طلب الغفران نجد أنها وسائل جامعة تهذب جميع جوارح العبد في وقت واحد، فكل وسيلة شرعها الحكيم الخبير لعباده ليتعبدوا، ويتقربوا، ويرجعوا بها إلى ربهم، نجد أنها وسيلة تهذب العقل، والقلب، واللسان، وسائر الجوارح للعبد مع ربه، ثم مع نفسه ومع الآخرين.

---

(١) لسان العرب (١١/٧٢٤) مادة (وسل).

(٢) انظر: العفو في القرآن والسنة: د. حسني أمين مصري، دار المنار، مصر (ط١)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص(٣٥).

وقد تنوعت هذه الوسائل لتخلي العبد من الذنوب، ولتحليه بالفضائل، وليرتقي ويفوز بها – بإذن الله – في الدنيا والآخرة.

لهذا قال علماء الأخلاق إن المدخل للأخلاق الكريمة: التخلية والتحلية أي التخلي عن كل خُلق دَنِيَ، والتحلي بكل خلق سَني. .

كما وقد اختلفت وسائل طلب الغفران بحسب اختلاف ما يُطلب عنه الغفران، فالخطايا مختلفة بحسب باعثها، وعظمها، وأثرها، ومتعلقها، كذلك ما يرد على العبادات من تقصير أو نقص مختلف ومتفاوت، ومن هنا اختلفت وسائل طلب الغفران من خطيئة لأخرى، ومن تقصير لتقصير.

فتارةً تكون هذه الوسائل قلبية قولية، وتارة قلبية قولية فعليه، وقبل أن أعرض بعضًا من وسائل طلب الغفران، لابد أن أؤكد على أمرٍ مهم : أن جميع ما يطلب العباد الغفران عنه سواء من ذنب أو تقصير، بأنه مهما عظم الذنب، أو اشتد التقصير، فلا ينبغي أن ييأس العبد من رحمة الله ومغفرته له، إن كان العبد صادقًا في طلبه، قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (... وأما جنس الذنب، فإن الله يغفره في الجملة: الكفر والشرك وغيرهما؛ يغفرها لمن تاب منها، ليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب تعالى؛ بل ما من ذنب إلا والله تعالى يغفره في الجملة) (٢).

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: (٥٣، ٥٤).

(٢) الفتاوى (١٦/٢٣).

ومن وسائل الغفران ما يلي:

**١ – الإسلام:**

إن أعظم ذنب يقع فيه العبد هو الكفر بالله، ومع هذا فقد جعل الله الدخول في الإسلام وسيلةً عظمى لهدم ما قبله من الذنوب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١]، قال الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية: (هذا من كرمه وجوده؛ حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعايبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته، وجميع كتبه، وجميع رسله، واتقوا المعاصي، لكفَّر عنهم سيئاتهم، ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين)[٢]. وقال تعالى في موضع آخر من كتابه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل: (... إن الإسلام يهدم ما كان قبله...)[٤]، والمراد بقوله: (يهدم)، أي: (ما كان قبله من الكفر والمعاصي، أي يسقط ويمحو أثره ويرفع خبره)[٥]، والدخول في الإسلام يكون اعتقادًا بالجنان، وقولاً باللسان، وعملاً بالجوارح بالأركان.

**٢ – التوبة:**

المراد بالتوبة: (رجوع العبد إلى الله من معصيته إلى طاعته)[٦].

حث الله – عز وجل – عباده على التوبة من عهد آدم – عليه السلام – حتى تشرق

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٦٥).

(٢) تفسير ابن سعدي (٢٣٨).

(٣) سورة طه، الآية: (٨٢).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، برقم (١٢١) بمثله مطولاً ص(٦٩٨)، موسوعة الحديث الشريف.

(٥) فيض القدير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية – مصر، (ط١)، ١٣٥٦هـ (١٦٧/٢).

(٦) العقيدة الواسطية (٢٣٢/١).

الشمس من مغربها، فقال تعالى عن قبوله لتوبة آدم — عليه السلام -:﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [(١)].

قال الطبري في تفسير الآية: (﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾: أي رزقه التوبة من خطيئته، ﴿ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: إنه هو التواب الرحيم على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، والتوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه... وتوبة الله على عبده هو أن يؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه) [(٢)].

وقال تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [(٣)]، وقال أيضًا:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾[(٤)]، وقال:﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [(٥)]، والآيات في التوبة كثيرة، فأكتفي بما ذكرت.

ومن السنة قوله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[(٦)]، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل: «... فإن العبد اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»[(٧)]، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بأنه يتوب إلى الله، فقال

---

(١) سورة البقرة الآية: (٣٧).

(٢) تفسير الطبري (١/٢٤٦).

(٣) سورة التوبة، الآية: (١٠٤).

(٤) سورة طه، الآية: (٨٢).

(٥) سورة الشورى، الآية: (٢٥).

(٦) سبق تخريجه ص(٧٥).

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا برقم (٢٦٦١) بمثله مطولاً ص(٢١٠)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم (٢٧٧٠) بمثله مطولاً ص(١١٦٠) موسوعة الحديث الشريف.

عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[1].

**٣ – الاستغفار:**

قال تعالى:﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[4]، وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5].

ومن السنة قوله ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[6]، وقال عليه الصلاة والسلام: «العبد آمنٌ من عذاب الله – عز وجل – ما استغفر الله – عز وجل)[7].

**٤ – إتباع السيئة الحسنة:**

لقد قرر الشارع – عز وجل – إن إتباع السيئة الحسنة وسيلة من وسائل الغفران، وقد بينت السنة ذلك، فما يقع من العبد من ذنوب، أو تقصير في أداء العبادات، فإن العبد حين يتبع

---

( ١) سبق تخريجه ص(١٠٠).

( ٢) سورة غافر، الآية: (٥٥).

( ٣) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

( ٤) سورة النساء، الآية: (١١٠).

( ٥) سورة الأنفال، الآية: (٣٣).

( ٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده مسند أبي سعيد الخدري برقم (١١٢٥٧، ١١٧٥٢) بمثله ص(٧٧٠، ٨٠٦)، مسند الإمام أحمد بن حنبل. صححه الحاكم في مستدركه(٤/٢٤٠)والالباني في السلسلة الصحيحة(١١٩/١٢).

( ٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده. مسند فضالة بن عبيد الأنصاري برقم (٢٤٤٥٣) بمثله ص(١٧٨٠)، مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث ضعيف الاسناد.

ذنبه، أو تقصيره في العبادة ،بحسنة، فإن الحسنة -بإذن الله- ستمحو هذه السيئة، وستكمل وتسد النقص والتقصير الحاصلينْ في العبادات.

قال تعالى:﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1]. قال الطبري في بيان معنى الحسنات (هي: الإنابة إلى طاعة الله، والعمل بما يرضيه يذهب آثام معصية الله، ويكفر الذنوب)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الحسنات: (الحسنات هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب)[3].

فالحسنات شاملة لكل ما أمر الله تعالى به من الطاعات: كالوضوء، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]. قال الطبري في تفسير الآية: (أن الله يحب التوابين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء للصلاة)[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[6].

**٥- أداء الصلوات المفروضة** قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[7].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن،

---

(١) سورة هود، الآية: (١١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٣١/١٢).

(٣) الفتاوى لابن تيمية (١٧٣/١٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٢٢).

(٥) تفسير الطبري (٣٩١/٢).

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا من ماء الوضوء برقم (٥٧٨) بمثله ص(٧٢١)، موسوعة الحديث.

(٧) سورة هود، الآية: (١١٤).

ما لم تغش الكبائر»[1].

٦- **صلوات التطوع** تُكمل الفرائض، وتجبر نقصها، قال عليه الصلاة والسلام: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته؛ فإن كان أتمها كتبت له تامةً، وإن لم يكن أتمها قال الله عز وجل: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملوا بها فريضة؟ ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك»[2].

٧- **محبة الله، واتباع النبي ﷺ** قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3].

٨- **ذكر الله – عز وجل –** قال تعالى:﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

وذكر الله شامل للأذكار الواردة أدبار الصلوات، والتي بين النبي ﷺ فضلها، فقال: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر»[5].

---

(١) سبق تخريجه ص(٩٣).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب قوله ×: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، برقم (٨٦٤) بمثله (١٢٨٧)، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة برقم (١٤٢٥، ١٤٢٦) بمثله (٢٥٦٢)، موسوعة الحديث الشريف. قال الألباني في السلسلة: صحيح.

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٣٥).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة برقم (٥٩٧) بمثله ص(٧٧١)

**٩- حضور مجالس الذكر** التي يذكر فيها اسم الله، قال عليه الصلاة والسلام: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات) [١].

ويدخل في ذلك ذكر الله تعالى عامة أذكار الصباح والمساء، أذكار النوم، الأذكار المتعلقة بالأكل والشرب، وبالدخول والخروج، الأذكار الواردة في الصلوات ونحوها... وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة عليها كثيرة.

**١٠- الصلاة على النبي محمد ﷺ**، فقد ورد عن النبي ﷺ بأنه أتاه آت من ربه عز وجل فقال: (من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) [٢].

**١١- الصدقات**. قال تعالى:﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٣]، قال الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية: (رغب تعالى في النفقة فقال: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ ...﴾وهو كل نفقة كانت الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى، وطلب مرضاته، ووضعها في موضعها، فالنفقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومع المضاعفة أيضًا بسبب الإنفاق والصدقة، فإنه يغفر ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات

---

موسوعة الحديث الشريف.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أنس بن مالك برقم (١٢٤٨٠) بمثله ص(٨٥٧)، مسند الإمام أحمد. قال الالباني :وأخرجه الطبراني في " الأوسط " (٤٣٤) قال المنذري في" الترغيب " (٢ / ٢٣٣) : " رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي. السلسلة الصحيحة(٥/٢٤٥)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أبي طلحة بن سهل الأنصاري برقم (١٦٤٦٦) بمثله ص(١١٤٤)، مسند الإمام أحمد. قال الالباني :صحيح. صحيح الجامع (١/٧٢).

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٧).

والحسنات) [1].

قال عليه الصلاة والسلام في الحث على الصدق باعتبار أنها وسيلة لرضاء الرب، ونيل الغفران: «والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار» [2].

**١٢- العفو والصفح**، قال تعالى:﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [3]، وقال عليه الصلاة والسلام في الحث على العفو والصفح: «ما من رجل مسلم يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها، إلا كفر الله عنه مثل ما تصدق به» [4]، وجاء في بيان معنى الحديث: (ما من رجل مسلم يصاب في جسده فيتصدق به، إلا رفعه الله به درجة، وحط عنه به خطيئته... فمن عفا لوجه الله نال هذا الثواب، فالمسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالآلآم والأسقام والمصائب التي يقع فيها، فتكون كفارة لها) [5].

**١٣- الكفارات**. وهي باب واسع. سميت كفارات لأنها: تكفر الذنوب، أي تسترها مثل كفارة الإيمان، وكفارة الظهار- والظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، يعني أنها حرام عليه، وكانوا يطلقون بهذه الصيغة في الجاهلية - والقتل الخطأ... [6].

---

(١) تفسير ابن سعدي ص(٨٦٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند جابر الأنصاري برقم (١٤٤٩٤، ١٥٣٥٨) بمثله مطولاً ص(٩٩١، ١٠٤٧) مسند الإمام أحمد، والترمذي في سننه في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦١٦) بمثله مطولاً قال الترمذي حديث حسن صحيح ص(١٩١٥)، موسوعة الحديث الشريف، وقال الألباني: صحيح ص(٥٩٠)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، باب قوله تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) برقم (١١٣٩٤) بمثله مطولاً ص(٤٢٨/٦)، صححه ابن حبان (١٧٢٣)، وقال الالباني: صحيح .صحيح الجامع(٩١٣/٢).

(٣) سورة التغابن، الآية: (١٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند عبادة بن الصامت برقم (٢٣٠٧٧، ٢٣١٧٨، ٢٣١٨٠) بمثله ص(١٦٦٧، ١٦٧٦)، مسند الإمام أحمد، قال الالباني: اسناده صحيح. السلسلة الصحيحة(٣٤٣/٥) وقال شعيب: صحيح بشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٥) فيض القدير (٤٨١/٥).

(٦) لسان العرب (١٤٨/٥) مادة (كفر)، وانظر: مجموع رسائل ابن رجب (١٢/٤)، الكفارات أسباب وصفات: سعيد عبد العظيم، دار القيمة، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٧م ص(٦-٧).

٤- **الصبر على البلاء والمصائب**. قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما يصيب المسلم من نصب[٢]، ولا وصب[٣]، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[٤].

إن ما جاء ذكره في هذا المبحث من وسائل طلب الغفران ما هو إلا نذيرٌ يسير مما امتن[٥] امتن[٥] به الشارع – عز وجل – على عباده المذنبين، والمقصرين سترًا لذنوبهم، ومحوًا لها، وسدًا، وإكمالاً لأعمال المقصرين، فهناك الكثير من الوسائل التي لم يرد ذكرها في هذا المبحث إذ لا مجال لحصر جميع الوسائل .

وقد جمع ابن قيم الجوزية – رحمه الله – هذه الوسائل، حين أدرجها في مدلول كلامه عن الوسائل التي يتطهر بها العباد من ذنوبهم، وتقصيرهم، فقال عن ذلك: (لأهل الذنوب ثلاثة أنهار

---

(١) سورة البقرة، الآيات: (١٥٥ – ١٥٧).

(٢) النصب: التعب.

(٣) الوصب: المرض.

(٤) سبق تخريجه ص(٦٥).

(٥) فمن الوسائل: الصيام، والقيام، والحج، والصلاة في الجماعة، والسير للمساجد، والصلاة على الجنائز، والسلام، والمصافحة، والابتسامة، وزيارة المريض، والبكاء من خشية الله، وقراءة القرآن، وكظم الغيظ، وإطعام الطعام، وكفالة الأيتام، وتربية الأبناء، والإحسان للبنات، ورحمة الحيوانات، وصلة الأرحام، والقيام على الأرملة والمسكين، ودعاء المسلمين، وسكرات الموت، وأهوال القيامة. للاستزادة انظر: العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٨)، الاستقامة (٤٣٧)، غفران الذنوب، د. السيد عبد الحليم عبد العال، مطبعة الشمس، المنوفية عام ١٩٩٢م، العفو في القرآن، مكفرات الذنوب والخطايا: سعيد بن علي القحطاني، الشيعة وصكوك الغفران: محمد مال الله، مكتبة ابن تيمية (ط١)، ١٤١١هـ (٣٤ – ٤٠)، رسالة ماجستير (أسباب تكفير السيئات وغفران الذنوب في القرآن الكريم)، دراسة مقدمة لقسم التفسير في كلية الآداب جامعة الأميرة نورة للطالبة: رقية بنت محمد العتيق، ١٤٢٠هـ، ص(١٤٩ – ٣٨٣).

عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بطهرهم طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة: نهر التوبة النصوح، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفرة، فإذا أراد الله بعبده خيرًا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة، فورد القيامة طيبًا طاهرًا؛ فلم يحتج إلى التطهير الرابع)[1].

وحتى يتأتى لهذه الوسائل أن تقبل لابد لها من لوازم، وهذا ما سيأتي عليه الحديث بإذن الله في المبحث الذي يليه.

---

( ١) مدارج السالكين (٢٣٩/١)، وانظر: التوبة لابن قيم الجوزية (١٤٠ – ١٤١).

# المبحث الثاني

## لوازم طلب الغفران

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١].

لقد حث الشارع في هذه الآية، وفي آيات كثيرة، عباده على طلب الغفران، والتوبة إليه، وبيّن في مواضع مختلفة أنهُ لابد لطالب الغفران، الراغب إلى الله، التائب إليه عن ذنبه. الساعي لقبول توبته، ونيل الغفران، من اجتماع عدة شروط في توبته ليتحقق له المطلوب، وينال المرغوب، ويُجنب المرهوب.

واللوازم من اللازم، وهي ملازمة الشيء، والدوام عليه[٢].

ويُطلق عليها في باب الغفران «الشروط»، ويراد بالشروط جمع شرط، وهو في اللغة: إلزام الشيء والتزامه، واصطلاحًا: ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم[٣].

وشروط طلب الغفران تُعد شروطًا شرعية، وهي: ما كان مصدر اشتراطها الشارع، وهي التي يشترطها لتحقيق الشيء[٤].

فحين يستوفى طلب العبد للغفران لوازمه الشرعية، فإن طلبه هذا الغفران هو ما يُعرف

---

(١) سورة التحريم، الآية: (٨).

(٢) لسان العرب (١٢/٥٤٢) مادة (لزم).

(٣) انظر: روضة الناظر: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت: د. عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد – الرياض، (ط٢)، ١٣٩٩هـ، ص(٥٧)، الحدود الأنيقة: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، ت: د.مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت (ط١)، ١٤١١هـ ص(٧١)، التعريفات: محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق (ط١)، ١٤١٠هـ (٤٢٧)، الوجيز في أصول الفقه: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص(٤٦ – ٤٨).

(٤) انظر: الوجيز في أصول الفقه (٤٨).

شرعًا «بالتوبة النصوح»، والتي قال عنها الشارع – عز وجل –:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾. قال ابن كثير في تفسيره للمراد بالتوبة النصوح الوارد ذكرها في الآية: (قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يُقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه بطريقه) [(١)].

وبهذا يتبين أن طلب الغفران يكون من العبد عن ذنبٍ أذنبه بينه وبين الله؛ أو بينه وبين أحدٍ من العباد، وبناءً على ذلك، فهناك من اللوازم ما تكون عامة تشمل حقوق الله، وحقوق العباد، وهناك لوازم تزيد على اللوازم العامة، وهي خاصة بالذنوب الحاصلة في حقوق العباد.

**فاللوازم العامة:**

**١ – الإخلاص لله تعالى؛** بأن يكون الحامل له على طلب الغفران مخافة الله ورجاء ثوابه[(٢)].قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [(٣)]، وقال أيضًا – عز وجل – : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[(٤)].

**٢ – الندم:** قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله –: (هي الندم على ما سلف منه في الماضي) [(٥)]، قال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [(٦)].

**٣ – الإقلاع عن الذنب:**(بتركه إن كان محرمًا، أو تداركه إن كان واجبًا يمكن تداركه) [(٧)]

---

( ١) تفسير ابن كثير (٥/١٦٩).

( ٢) انظر: التوبة لابن تيمية ص(٤٩)، شرح العقيدة الواسطية (١/٢٣٢)، الذنب والمغفرة في القرآن والعهد الجديد (٨١).

( ٣) سورة التحريم، الآية: (٨).

( ٤) سورة غافر، الآية: (١٤).

( ٥) التوبة والإنابة ص(٣٤) وللاستزادة انظر: التوبة لابن القيم ص(٩)، مدارج السالكين (١/١٤٤).

( ٦) سورة الأعراف، الآية: (٢٣).

[1]

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – معلقًا على هذا اللازم: (فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب)[2].

**٤ – العزم على أن لا يعود إليه**[3]. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

**٥ – أن تكون التوبة في وقت القبول**. وهو ما كان قبل حضور الموت. قال تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[5].

وقبل طلوع الشمس من مغربها، قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[6]. فإن كانت التوبة بعد حضور الموت، الموت، أو بعد طلوع الشمس من مغربها لم تقبل[7].

**٦ – اللازم الخاص بحقوق العباد :**

---

( ١) شرح العقيدة الواسطية (٢٣٢/١)، وانظر: العفو في القرآن (٦٤).

( ٢) التوبة والإنابة (٣٤)، وانظر: التوبة: ابن القيم (٩)، مدارج السالكين (١٤٥/١).

( ٣) شرح العقيدة الواسطية (٢٣٢/١)، وانظر: العفو في القرآن (٦٤).

( ٤) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

( ٥) سورة النساء، الآية: (١٨).

( ٦) سورة الأنعام، الآية: (١٥٨).

( ٧) انظر: فتح الباري (١٠٣/١١ – ١٠٤)، شرح العقيدة الواسطية (٢٣٢/١)، الذنب والمغفرة بين القرآن والعهد الجديد (٨٥).

لابد من وجود هذا اللازم مع اللوازم السابقة إن كانت الذنب، أو التقصير المراد بالتوبة منه حاصلة في حق أحدٍ من العباد، ويتم هذا اللازم بأداء حقوق العباد، ورد المظالم إلى أهلها، أو بطلب البراءة من أصحابها، قال عليه الصلاة والسلام عن ذلك: «من كانت عنده مظلمة لأخيه، فليتحلله منها؛ فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه، فطرحت عليه»[1].

قال الإمام ابن حجر – رحمه الله –: (والتوبة ترك الذنب على أحد الأوجه... وفي الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على فعله، والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها، وهي أبلغ ضروب الاعتذار)[2].

وقد بيّن العلماء ،وشرحوا في مصنفاتهم، لوازم طلب الغفران السابقة، وزاد البعض منهم عليها يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: (لا يكفي في التوبة عند علمائنا قول القائل: قد تبت حتى يظهر منه في الثاني خلاف الأول، فإن كان مرتدًا رجع إلى الإسلام مظهرًا شرائعه، وإن كان من أهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح، وجانب أهل الفساد والأحوال التي كان عليها، وإن كان من أهل الأوثان جانبهم، وخالط أهل الإسلام، وهكذا يُظهر عكس ما كان عليه)[3]، وقال عن اللازم الخاص: (وإن كان التوبة من مظالم العباد، فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه، والخروج عنه)[4].

فهنا نجد أن الإمام القرطبي، وغيره من العلماء، قد زاد لازمًا لطالب الغفران، وهو مجانبة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته برقم (٢٤٤٩) بمثله وفي كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة برقم (٦٥٣٤) بمثله ص(١٩٢ – ٥٤٨)، موسوعة الحديث الشريف.

(٢) فتح الباري (١٠٣/١١).

(٣) تفسير القرطبي (١٨٧/٢).

(٤) تفسير القرطبي (٢٠٠/١٨).

خلطاء السوء مستشهدين على ذلك بقوله ﷺ في حديث: «الرجل الذي قتل مائة، وقال له الرجل العالم: من يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله – عز وجل – فاعبد الله تعالى معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء» [1].

قال العلماء عن مدلول هذا الحديث: (في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة الخير والصلاح، والعلماء، والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته) [2].

وقال الإمام الغزالي – رحمه الله – في كتابه إحياء علوم الدين: اعلم أن الواجب على المذنب التوبة من ذنبه، والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده، وبالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو، وباللسان، فبالاعتراف بالظلم والاستغفار [3].

وعما يجب على طالب الغفران من لوازم يقول الإمام ابن رجب – رحمه الله –: (أن يعاهد العبد ربه على أن لا يعود إلى المعصية، فإن العزم على ذلك واجبٌ عليه، فهو مخبر بما عليه في الحال) [4].

ولابد أن يكون طلب الغفران على الفور من ارتكاب الذنب، أو حصول التقصير، يقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في بيان ذلك: (إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤) برقم (٣٤٧٠) بمثله (٢٨٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٦) بمثله (١١٥٧)، موسوعة الحديث الشريف.

(٢) المنهاج للنووي (١٩٣٢)، وللاستزادة انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص(٥٢).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين: للغزالي (٦٢/٤).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٧٣٣).

الفور، ولا يجوز تأخيرها) [١]، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [٢]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [٣].

قال الشيخ ابن سعدي في تفسير الآية: (إن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان، فأذنب بفعل محرم، أو ترك واجب تذكر من أي باب أتي، ومن أي: مدخل دخل الشيطان عليه. وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح، والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئًا حسيرًا) [٤].

كذلك أكد العلماء من خلال الشواهد الشرعية على لازم لطلب الغفران، وهو الدعاء، يقول الإمام ابن رجب – رحمه الله –: (فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة) [٥]. قال تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٦].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في حديثه عن هذه اللوازم، وعن صحة التوبة، والتوبة النصوح.

فعن صحة التوبة ولوازمها يقول: (لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخرًا...) [٧]، (وشروط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع،

---

( ١) التوبة لابن قيم الجوزية (١٠١).

( ٢) سورة النساء، الآية: (١٧).

( ٣) سورة الأعراف، الآية: (٢٠١).

( ٤) تفسير ابن سعدي ص(٣١٣).

( ٥) جامع العلوم والحكم (٧٢٧).

( ٦) سورة الأنبياء، الآية: (٨٧).

( ٧) التوبة والإنابة ص(٣١).

والاعتذار، فحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على ألاّ يعاوده في المستقبل) [1]، ثم قال عن حقيقة التوبة النصوح: (النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها...

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم، ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته، وعزيمته مبادرًا إليها.

والثالث: تخليصها من الشوائب، والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه...) [2].

وقال أيضًا: (ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: (أحدها: محبة ما يرجوه. الثاني: خوفه من فواته. الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان) [3]، وهكذا ينبغي أن يكون طالب الغفران محبة رضاء، ومغفرة الله وخوفه من عاقبة ذنبه بأن يفوته بسببها مغفرة الله له، ورحمته به.

وأن يسعى ما أمكن بسرعة المبادرة إلى التوبة والإنابة لله عز وجل من الذنب والتقصير.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على لازم مهم لكل من يسعي لطلب الغفران من الله – عز وجل –، وهو تجنب القنوط من رحمة الله ومغفرته، فقال عن ذلك: والمقصود في قوله تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [4] فيه نهي عن القنوط من رحمة الله تعالى، وإن

---

( ١) السابق ص(٣٤).

( ٢) السابق ص(٢١٢).

( ٣) الدواء والداء ص(٥٩).

( ٤) سورة الزمر، الآيتان: (٥٣، ٥٤).

عظمت الذنوب وكثرت، فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه... والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، أو لكونه يرى أن للتوبة شروطًا كثيرة، ويقال له لها شروط كثيرة يتعذر عليه فعلها، فييأس من أن يتوب[1].

إن من قام بالتوبة طالبًا الغفران من الله مستجمعًا جميع لوازم وشروط قبول التوبة، فليبشر برحمة الله وواسع فضله، وليحسن الظن بربه حينها – بإذن الله – سيجد لهذا الغفران آثارًا عظيمة في حياته الدنيوية والأخروية، وهذا ما سيأتي عليه الحديث في المبحث التالي.

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٦/١٩ – ٢٠).

## المبحث الثالث

## آثار الغفران الدنيوية والأخروية

آثار غفران الله تعالى عن عباده التائبين كثيرة، لا يحصيها عاد، ولا يعلمها على الحقيقة إلا معطيها – عز وجل –.

ولغفران الله تعالى آثار دنيوية كثيرة علاوة على ما ينتظره من آثار في الآخرة مما وعده به العزيز الجواد الغفار.

وقد جاء ذكر الغفران في كتاب الله – عز وجل – وعلى لسان رسول الله ﷺ بين دعوةٍ إليه، وترغيب فيه، وثناءٍ على أهله.

فقد بيّن في محكم كتابه أن عودة العبد المذنب إلى الله بالتوبة لطلب الغفران خيرٌ له من البقاء على الذنب، قال تعالى:﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

فطلب الغفران خيرٌ لصاحبه؛ لما يترتب عليه من سعادة في الدنيا والآخرة، ولما له من منزلة في الدين تظهر من خلال آثاره؛ ونتناول إن شاء الله بعض هذه الآثار:

**١ – محبة الله – عز وجل – وفرحه بتوبة عبده** قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

وعن فرحته سبحانه بتوبة عبده، قال عليه الصلاة والسلام: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده، حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه،

( ١) سورة التوبة، الآية: (٧٤).

( ٢) سورة البقرة، الآية: (٢٢٢).

فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح»[(١)].

قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في بيان هذا الأثر: (إن التوبة توجب للتائب آثارًا عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدونها، فتوجب له من المحبة، والرقّة واللطف وشكر الله وحمده، والرضا عنه عبوديات أخر، فإنه إذا تاب إلى الله تقبل الله توبته، فرتب له على ذلك القبول أنواعًا من النعم، لا يهتدي العبد لتفاصيلها، بل يزال يتقلب في بركتها وآثارها ما لم ينقضها ويفسدها)[(٢)].

**٢ – تبديل السيئات حسنات.** قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[(٣)].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية: (أي أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم، واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، في يوم القيامة، وإن وجده مكتوبًا عليه، لكنه لا يضره، وينقلب حسنة في صحيفته)[(٤)]، وقال ابن قيم الجوزية عن هذا الأثر: (وهذا من أعظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات باب التوبة برقم (٦٣٠٨) بمثله ص(٥٣١)، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب الحظ على التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٧) بمثله ص(١١٥٤) موسوعة الحديث الشريف.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت، (ط٢)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م (١/٣٠٥ – ٣٠٦).

(٣) سورة الفرقان، الآيات: (٦٨ – ٧٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٢٧).

(٥) كتاب التوبة لابن القيم (١٣٠)، وللاستزادة انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٤/٦٥)، مدارج السالكين

**٣ – مغفرة الذنوب وتكفير السيئات**، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [١] فحين يتوب العبد توبة نصوحًا طلبًا للغفران؛ فإنه ينال العفو والستر ومحو الكبائر والصغائر.

وقد دلت السنة على ذلك قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» [٢].

قال الإمام الغزالي – رحمه الله – عن هذا الأثر: من ثمرات التوبة تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له، ونيل الدرجات حتى يصير حبيباً [٣].

**٤ – المتاع الحسن**، فقد وعد الله كل طالبٍ للغفران، صادقًا في طلبه بأن يمتعه متاعًا حسنًا كريمًا، لا يعلم مداه إلا الله سبحانه بالزيادة في حظه في الدنيا، والبركة فيه سواء كان مالاً أو بنين أو غير ذلك [٤].

قال تعالى:﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ [٥].

وقال أيضًا على لسان نبيه هود داعيًا قومه للإيمان والتوبة:﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [٦].

**٥ – الزيادة في القوة البدنية والدينية والدنيوية** [٧]، والشاهد الآية السابقة حين قال تعالى: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾.

---

(٢٣٢/١).

(١) سورة طه، الآية: (٨٢).

(٢) سبق تخريجه ص(٧٥).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٦٥/٤)، وللاستزادة انظر: التوبة: لابن القيم (١٣٠ – ١٣٩).

(٤) انظر: العفو في القرآن الكريم (٢٦٩).

(٥) سورة هود، الآية: (٣).

(٦) سورة هود، الآية: (٥٢).

(٧) العفو في القرآن الكريم (٢٧٣).

وذلك بالعافية في الأجساد، وسلامة الاعتقاد، والدنيوية بمعافاة الإنسان في أهله، ومعاشه، وجميع أمور دنياه.

**٦ – رفع البلاء والنقم، وتفريج الكروب وتيسير الأمور**[1]، قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[3].

**٧ – الأمن** – بإذن الله تعالى – من عذاب الاستئصال الذي أهلك الله به قوم عاد وثمود، فقال تعالى مبشرًا عباده المستغفرين: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4].

**٨ – انشراح الصدر**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحًا كيفية نيل هذا الأثر، وإذا رأى أنه لا ينشرح صدره؛ ولا يحصل لهُ حلاوة الإيمان، ونور الهداية، فليكثر التوبة والاستغفار... وعليه بإقامة الفرائض ظاهرًا وباطنًا؛ ولزوم الصراط المستقيم مستعينًا بالله[5].

**٩ – الارتفاع في الدرجات في الدنيا والآخرة** في الحث على نيل هذا الأثر من طرق طلب الغفران؛ فقال عن ذلك: (الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، من العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل)[6].

**١٠ – دعاء الملائكة** قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

---

(١) العفو في القرآن الكريم (٢٧٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الوتر، باب في الاستغفار برقم (١٥١٨) بمثله ص(١٣٣٥)، موسوعة الحديث. قال الألباني حديث ضعيف. السلسلة الضعيفة(١٤٢/٢).

(٤) سورة الأنفال، الآية: (٣٣).

(٥) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣٩٠/١١).

(٦) الفتاوى لابن تيمية (٦٩٦/١١).

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1].

قال الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في بيان هذا الأثر: (فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذين لا سبيل لهم غيرهما...) [2].

١١ – **يقظة العبد وتحرزه من مصائد الشيطان**، يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله –: (ومنها أن الذنب يوجب لصاحبه التيقظ والتحرز من مصائد عدوه ومكامنه) [3].

١٢ – **تواضع العبد مع من حوله، والإمساك عن عيوب الناس**. يقول الإمام ابن القيم عن العبد التائب عن ذنبه ما تورثه له التوبة عن ذنوبه: شهود العبد ذنوبه وخطاياه موجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقًا، فإنه يشهد عيوب نفسه... ويوجب له الإمساك عن عيوب الناس والفكر فيها؛ فإنه في شغل بعيب نفسه[4].

١٣ – **الفوز بالجنة**[5]: وهذا يُعد أعظم أثر يرجوه طالب الغفران من الله – عز وجل – – بعد أن منّ عليه بنعمة الغفران، ونعمة المتاع الحسن، والعلو والارتفاع، والأمن من عذاب الاستئصال، والقوة في أمر دينه، ودنياه، وبدنه.

فجميع هذه الآثار لا تعدل شيئًا عند الفوز بالجنة دار النعيم المقيم، دار الكرامة، دار المتقين قال تعالى مبشرًا عباده التأبين بالجنة:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) سورة غافر، الآية: (٧).

(٢) الداء والدواء لابن القيم (٩٩).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٠٧/١).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣١٠/١).

(٥) انظر: غفران الذنوب لسيد عبد الحليم ص(٥٠ – ٥٦)، العفو في القرآن (٢٨٦ – ٢٩٤)، الخلاص من الخطيئة (٨٨ – ٨٩)، أسباب تكفير السيئات وغفران الذنوب (١٧٩ – ١٨٠).

وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [١]، وقال تعالى:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣]، وقال تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [٤].

عظيمة الآثار المترتبة على نيل الغفران، والتي مبدأها غفران الله عز وجل عن العبد، ومنتهاها رضاه سبحانه، هذا الرضا الذي يتبعه الولوج لجنة عرضها السموات والأرض، فضلاً ومنةً من الله على عباده[٥].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: (١٤ — ١٥).

(٢) سورة الرحمن، الآية: (٤٦).

(٣) سورة التحريم، الآية: (٨).

(٤) سورة مريم، الآية: (٦٠).

(٥) للاستزادة في موضوع الآثار. انظر: كتاب الداء والدواء، العفو في القرآن والسنة، غفران الذنوب السيد عبدالحليم.